ردمد : 2961-4074
ISSN: 2961-4074
رقم الإيداع : 1446/3664

سلسلة تقارير أسبار

رقم (26)

يناير 2016م

كيف نصحّح النظرة العالمية تجاه الوهابية...؟!!

إعداد/ لجنة التقارير

مركز أسبار
ASBAR CENTER
32 عامًا Years
منذ 1994 Since

ملتقى أسبار
Asbar Council
(نادي تفكير)

ملتـقى أسبـار
Asbar Council
(نادي تفكير)

بسم الله الرحمن الرحيم

تقرير يصدر عن ملتقى أسبار

- رئيس الملتقى:

د. فهد العرابي الحارثي

- رئيس الهيئة الإشرافية للملتقى

د. خالد بن دهيش

- الأمين العام
- **د. أماني البريكان**
- التحرير

د. إبراهيم إسماعيل عبده

- التصميم والإخراج:

أ. صفوان يحيى مسعد





تمهيد

يعرض هذا التقرير قضيةً مهمةً تمَّ طرحُها للحوار في ملتقى أسبار خلال شهر يناير 2016م، وناقشها نُخبةٌ متميزةٌ من مُفكِّري المملكة في مختلف المجالات، والذين أثروا الحوار بآرائهم البنَّاءة ومقترحاتهم الهادفة؛ حيث تناولت: "كيف نصحّح النظرة العالمية تجاه الوهابية...؟!!"



المحتويات

الموضوع	الصفحة
الورقة الرئيسة	3
التعقيبات	11
المداخلات حول القضية	15
الوهابية وجدلية المصطلح والدلالة	15
الوهابية بوصفها أيديولوجيا عامة / سياسية	21
الوهابية والهجوم على المملكة	25
توصيات لمواجهة الهجوم على الوهابية.	34
مداخلة ختامية	44
المشاركون في نقاشات التقرير	51

الورقة الرئيسة: د. منصور المطيري:

ثلاثة أسئلة أو أكثر في طيات هذا العنوان الذي وضعه الإخوة الكرام بمنتدى أسبار، ولم أضعه. (ولو وضعته لقلت: الدعوة الإصلاحية، بدلًا من الوهابية)؛ وهي:

- ما الوهابية...؟
- ما النظرة العالمية لها؟
- كيف نصححها؟

الحقيقة أن الموضوع واسع جدًّا؛ له أبعاد تاريخية، وسياسية، وعقائدية، واجتماعية لا يمكن الإحاطة بها في مساحة ضيقة كهذه.. ولكن سأكتفي ببعض الإشارات..

لا وجود لمذهبٍ اسمه الوهابية:

هذه حقيقة ساطعة يصد عنها عمدًا المعادون والمناوئون لها قديمًا وحديثًا، الذين يمكن تحديدهم في:

- الدولة العثمانية بوصفها كيانًا سياسيًّا؛ حيث عدّتها حينذاك حركة تمرد وخروج عليها.
- وفي التصوف المنحرف.
- وفي التشيع المتعصب.
- وانضم إليهم في العصر الحديث الحركات العلمانية، والليبرالية، والقومية والاشتراكية، التي عدّتها حركة رجعية.

وحقيقة دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب أنها دعوة إصلاحية تجديدية لأصول وأحكام الإسلام التي ضعفت كثيرًا وقت نشأتها؛ إلا عند قليلٍ من الناس آثروا عدم مصادمة مجتمعهم حينذاك. ويشهد لهذه الحقيقة طبيعة هذه الدعوة التي عبّر عنها المصلح الذي تُنسب إليه وتلامذته من بعده إلى هذه الساعة، كما عبر عنها المنصفون الدارسون لها من علماء العالم الإسلامي في اليمن، والهند، والمغرب، ومصر، والشام، والعراق. ولما نجحت هذه الدعوة بعد محاولات مستميتة للقضاء عليها؛ كانت بحق أولى حركات النهضة والتجديد في العصر الحديث، فهي الحركة الأم لما بعدها من حركات.

وعلى كل حال، فإن حالة التردي التي وصل إليها العالم الإسلامي حينما ظهرت هذه الدعوة الإصلاحية بادية للعيان، شملت الاعتقاد، والسلوك، والسياسة، والاقتصاد، وفقد كثير من المجتمعات الإسلامية (القانون والسلطة).

ومن أبلغ من وصف هذه الحالة المستشرق الأمريكي لوثروب ستودارد في كتابه حاضر العالم الإسلامي، الذي ترجمه عجاج نويهض، وعلّق عليه شكيب أرسلان، فقد قال: (في القرن الثامن عشر كان العالم الإسلامي قد بلغ من التضعضع أعظم مبلغ .. انتشر فيه فساد الأخلاق والآداب ... واستغرقت الأمم الإسلامية في اتباع الأهواء، وماتت الفضيلة في الناس، وساد الجهل، وانطفأت قبسات العلم، وانقلبت الحكومات إلى مطايا استبداد، وفوضى، واغتيال..) ج1، ص: 259. ثم وصف الدين وما غشيه من جهل، وخرافات، وشركيات قائلًا: (.. ونال مكة ما نال غيرهما من سائر مدن الإسلام؛ فصار الحج المقدس .. ضربًا من المُستهزآت، وعلى الجملة فقد بُذِّل المسلمون غير المسلمين... فلو عاد صاحب الرسالة إلى الأرض في ذلك العصر .. لغضب وأطلق اللعنة على من استحقها من المسلمين؛ كما يُلعن المرتدون وعبدة الأوثان..).

الانحرافات عن الدين الصحيح بدأت مبكرًا حينما أُهملت الجزيرة العربية من قِبل دول الخلافة المتعاقبة. وقد وجدتُ وصفًا معبرًا يشير إلى ما أقصد، كتبه الرحالة ابن جبير (القرن السادس الهجري)، واصفًا أقوامًا من العرب قِدموا إلى مكة من السراة. وبعد ثنائه على أخلاقهم، وفصاحتهم، وشجاعتهم، ذكر أنه ليس معهم من الدين إلا حسن النية وصدقها، وبلاغة الدعاء، فيقول عن صلاتهم مثلًا (و أما صلاتهم فلم يذكر في المضحكات .. أظرف منها، فهم يسجدون دون ركوع .. ومنهم من يسجد السجدة الواحدة، ومنهم من يسجد الثنتين، والثلاث، والأربع .. ويلتفتون يمينًا وشمالًا التفات المروَّع .. ويقومون بلا تسليم ولا جلوس، وربما تكلموا في أثناء ذلك .. وربما رفع أحدهم رأسه من سجوده إلى صاحبه، وصاح به ووصاه بما شاء، ثم عاد إلى سجوده...) ص: 112.

لقد لفت انتباهي ملاحظة الليدي آن بلنت لما دخلت شمال الجزيرة، حين قالت واصفة أثر الدعوة الإصلاحية: (لقد بدأ المسلمون يصلون لأول مرة).

- لا يعني الوصف السابق أبدًا انعدام الممارسات الإسلامية الصحيحة، ولا يعني عدم وجود العلماء في فترة نشأة الدعوة الإصلاحية .. لكن يعني ضعفها وعدم تأثيرها. ويدلّ على ذلك تكوين الشيخ محمد بن عبدالوهاب نفسه؛ حيث تعلّم في نجد، ومكة، والمدينة، والبصرة، والأحساء؛ ولكنه كان يعيب على علماء عصره - بما فيهم والده- السكوت عن مظاهر الشرك، والبدع، والجهل.. وقد كان تأثره كبيرًا بكتب ابن تيمية، وابن القيم، ثم بعالمي المدينة في ذلك الوقت: محمد حياة السندي، ومحمد بن سيف .. والمعلوم أنه بدأ دعوته في البصرة، وهناك من الدارسين من يقول: إنه ألّف كتاب التوحيد فيها.



- وقد تنوّعت آراء الباحثين في الاندماج الذي حصل بين الدعوة الإصلاحية والدولة السعودية التي أقامتها؛ إذ وصفها بعضهم بأنها حركة دينية أقامت دولة دينية خالصة.. ووصفها آخرون بأنها حركة سياسية اتخذت الدين وسيلة لتحقيق أهدافها؛ حيث فصلت الجزيرة عن الدولة العثمانية .. والحقيقة أنها حركة إسلامية تجمع الدين والسياسة. فالدين الإسلامي بطبيعته دين ودولة، لا يمكن فصل الأمور السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية عن دعوته الدينية. وهذه هي طبيعة المملكة العربية السعودية لا يمكن أن تكون إلا كذلك، وهذا ما جعل محمد جلال كشك يقول: (..عندما قامت ثورة الإخوان، توقّع الإنجليز أنها نهاية البيت السعودي .. غير أن البيت السعودي لا يُخلع ولا يُقلب؛ بل ينتحر بتخليه عن الرسالة..).
- وهذه الحقيقة لا تسعف الدكتور خالد الدخيل في تفسيره لنشأة الدولة السعودية بالبُعد السياسي فقط، حين قال في كتابه الوهابية: (يمكن القول: إن ظهور الحركة "الوهابية "كان بمثابة ردة فعل من قِبل مجتمع الحاضرة النجدية تجاه التحديات والانهيارات التي نجمت عن تصدع القبيلة، وهي التي كانت تمثّل العمود الفقري لبنية المجتمع الحضري السياسية والاقتصادية إلى ذلك الوقت. من هذه الزاوية لا مناص من النظر إلى الحركة الوهابية على أنها جاءت لتقدّم مفهوم الدولة وبنيتها؛ بوصفها البديل الوحيد لبنية القبيلة التي تصدّعت وتعرّضت للتفكك، وهو التفكك الذي شكّل تهديدًا ليس فقط لأمن المجتمع، وإنما لوجوده كذلك) ص41.

والخلاصة: أن حقيقة دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب - التي ما تزال حية إلى الآن - هي أنها ليست مذهبًا فقهيًّا ولا عقائديًّا جديدًا.. بل هي لا تخرج أبدًا عن مذهب علماء الإسلام الكبار وأئمته المعروفين العاملين بالدليل؛ ولذلك فإن هذه الدعوة تُسمّى بالسلفية، وبدعوة أهل السنة والجماعة، وبدعوة التوحيد، وغيرها.

النظرة العالمية للوهابية:

حينما نفكّك مفردة "العالمية"، نجد أنها تشمل العالم العربي والإسلامي والعالم غير المسلم، خاصةً الغرب؛ لقوة تأثيره، ومواقفه التاريخية من الإسلام.

في العالم العربي والإسلامي تبقى الاتجاهات الشيعية، والصوفية، والعلمانية معادية لهذه الدعوة، ويدلّ على ذلك الكتابات التي تكتبها هذه الأدبيات .. وفي رأيي أن هذه الاتجاهات بدأت تتقارب في جهودها من محاربة هذه الدعوة .. وأرى أن هناك مراكز بحثية ومجالس تُنشأ الآن لهذا الغرض، تقوم بتشويه هذه الدعوة؛ لغرض التأثير في الرأي العام. وقد رأيت مواقع متنوعة في الإنترنت مدعومة، هدفها محاربة هذه الدعوة. ومنها ما سُمّي بالردود العلمية على الدعوة الوهابية، جمعت أكثر من ثلاثة آلاف مؤلف قديم وحديث تهاجم الدعوة الإصلاحية.

وأما العالم الغربي فهو ضد الدعوة السلفية وخصم لها، ويتعاون مع القوى المعادية لها في الداخل. وقد صرّح بذلك كثير من الدراسات، والمواقف، والتصريحات السياسية، كما كشف عن ذلك بعض من عُرض عليهم صراحة المشاركة في هذه الحرب. وهذه النظرة العدائية وليدة الرؤية الاستشراقية للإسلام عمومًا. وهي رؤية شرَّحها إدوارد سعيد، وذكر أنها رؤية نمطية سلبية مغلقة يجري اجترارها وإعادة إنتاجها باستمرار. وقد ذكر أحد الكتاب الأمريكان أن الرؤية الغربية للوهابية بُنيت على مرئيات الرحالة الغربيين الذين دخلوا الجزيرة العربية خلال عقود ماضية، وأن الغرب يبني عليها مواقفه الحاضرة تجاه الوهابية.

وهناك دلائل كثيرة تؤكد أن الحرب على الإرهاب هي في حقيقتها حرب على الإسلام بصورته الصحيحة.

وأنقل هنا جزءًا بسيطًا من الآراء التي يطرحها بعض الساسة وأصحاب الرأي من الغربيين :

· كتب المفكر الاستراتيجي الأمريكي "فوكو ياما" – في العدد السنوي "للنيوز ويك" (ديسمبر 2001م – فبراير 2002م)، يقول: "إن الصراع الحالي ليس ببساطة ضد الإرهاب؛ ولكنه ضد العقيدة الإسلامية الأصولية، التي تقف ضد الحداثة الغربية، وضد الدولة العلمانية. وهذه الأيديولوجية الأصولية تُمثّل خطرًا أكبر من الخطر الشيوعي، والمطلوب هو حرب داخل الإسلام؛ حتى يقبل الحداثة الغربية، والعلمانية الغربية، والمبدأ المسيحي "دع ما لقيصر لقيصر، وما لله لله"!.

فسر الرئيس الأمريكي الأسبق "نيكسون" في كتابه "الفرصة السانحة" مراد الأمريكان من "الأصولية الإسلامية"، فقال: "إنهم هم الذين يريدون بعث الحضارة الإسلامية، وتطبيق الشريعة الإسلامية، وجعل الإسلام دينًا ودولة، وهم وإن نظروا للماضي، فإنهم يتخذون منه هداية للمستقبل، فهم ليسوا محافظين؛ ولكنهم ثوار"!.

- و قالت "مارجريت تاتشر" - رئيسة الوزراء البريطانية الأسبق-: "إن تحدي الإرهاب الإسلامي إنما يشمل حتى الذين أدانوا أحداث 11 سبتمبر، وابن لادن، وطالبان، يشمل كل الذين يرفضون القيم الغربية، وتتعارض مصالحهم مع الغرب"!
- وكتب المستشرق الصهيوني "برنارد لويس" في "النيوز ويك" (عدد 14 يناير 2004) يقول: "إن إرهاب اليوم هو جزء من كفاح طويل بين الإسلام والغرب، فالنظام الأخلاقي الذي يستند إليه الإسلام مختلف عما هو في المسيحية واليهودية الغربية، وهذه الحرب هي حرب بين الأديان".
- وهذه الآراء ومثلها الكثير الكثير توضّح طبيعة النظرة، وأنها عدائية متأصلة.
- كيف نصحح النظرة إلى الوهابية؟

هذا موضوع كبير جدًّا جدًّا.. أختصره في نقاط سريعة، كلها ترتكز على تصحيح الوضع الداخلي، وأكرر الوضع الداخلي..

1-لا يمكن أن يكون التصحيح بالدعوة إلى الفصل بين الدعوة والدولة .. فهدا انتحار وجهل .. وإنما يكون بتطبيق المبدأ الشرعي الصحيح الذي سارت عليه الدولة السعودية من نشأتها حتى الآن، وهو العمل وفق شرطي المصلحة والقدرة .. بمعنى العمل لتحقيق المصلحة على ضوء الوسع والطاقة .. وهذا مبدأ راسخ في الشريعة .. وهناك أمثلة كثيرة من عهود الدول السعودية الثلاث.

2-أحد التحديات الحقيقية التي تواجه المملكة، كيف يمكن تشكيل اتجاه عام موحد لا يقع في مصيدة التناقض والتصادم بين الرؤى المختلفة، وفي الوقت نفسه يمارس الاجتهاد داخل هذا الإطار العام. وهذا التحدي لا تقع مواجهته على العلماء فقط ، ولا على القيادة السياسية فقط، ولا على المجتمع بشكل عام، الذي أصبح يُساهم في تشكيل الرأي العام عن طريق الملكية الخاصة لوسائل الإعلام، أوعن طريق شبكات التواصل الاجتماعي. التحدي يقع على الجميع، مع اختلاف النسب. وإذا أمكننا عدّ الدولة السعودية أقرب إلى نمط الدولة المنتشرة الوظائف؛ "حيث إن الدولة هي فوق كل شيء، ويمكن تاليًا أن تتداخل في كل مناحي الحياة سلبًا أو إيجابًا. فهي فوق المجتمع المدني وتتسود عليه". الخضر: ص: 42، إنه لا يمكن توقع ما تؤول إليه حال الدعوة الإصلاحية دون معرفة موقف السياسة الحكومية منها.. ولعل أهم خطوة يجب اتخاذها الآن توحيد الخطاب، والقضاء على تلك الثنائية في صناعة الفكر التي ميّزت المملكة من بداية التسعينيات الهجرية، والقائمة على قسمة المجال الفكري بين قطاعين ديني وثقافي .

يجب أن يكون المنبر واحدًا، وأن يتاح للجميع التحدث من هذا المنبر، ومنع احتكاره من قِبل اتجاه واحد .. لقد أصبح لدينا صنفان: مثقف؛ وعالم دين، يصنعان اتجاهين متناقضين، وأصبح مصطلح المثقف رديفًا لمصطلح الليبرالي، وكأنما هما وصفان لموصوف واحد، كما لاحظ ذلك الكاتب الفرنسي لاكروا.. اطلعت على البرنامج الثقافي المصاحب لمعرض كتاب جدة، فوجدت اتجاهًا فكريًّا أحاديًّا يهيمن على هذا المنبر .. المنبر يجب أن يكون متاحًا لوجهات النظر المختلفة على قدم المساواة، في إطار من المسؤولية التي يجب أن تحدّد معالمها الأساسية داخل المصلحة العامة والمقطوع به من أحكام الشريعة، مع احتفاظ المثقف بدوره، والعالم بدوره، مع السير بالمجتمع في الاتجاه نفسه.



وجود هذا الانقسام معناه وجود مشروعين لا مشروع واحد يتجاذبان البلد .. بينما يحتاج الوطن مشروعًا واحدًا يتحدث بآماله وآلامه .. وهذا التوجه يمزّق المجتمع، وقد يقضي عليه.. ويُولّد الانغلاق عند الفريقين، ويجعل التفاهم مستحيلًا .. ويجعل اللغة اتهامية وتخوينية .. وهذا لا يسعف أحدًا -سياسيًّا كان أو مثقفًا، أو عالم دين- في رسم صورة إيجابية عن الدعوة والدولة.

الصورة الإيجابية تبدأ من الداخل، ثم هناك عشرات الآليات والمشروعات التي تُوجد انطباعًا حسنًا وحقيقيًّا عن الدعوة والدولة.

3- للسلفية والدعوة الإصلاحية أصول لم تتولد من فكر بشري ولا ظرف تاريخي؛ وإنما تعتمد على وحي إلهي محفوظ في نصوص الكتاب والسنة الصحيحة.. ولذلك فإن من الأهمية بمكان معرفة هذه الأصول الثابتة .. ويكون إحداث التغيير عن طريق هذه الأصول .. وللتمثيل (في المسألة الاجتماعية)، فإن الفقهاء قديمًا وحديثًا كانوا مختلفين في حدّ الحجاب هل يشمل الوجه أم لا؟ وقد ساد الرأي القائل بوجوب تغطيته؛ لأدلة موجودة وقوية .. لكن الشيخ الألباني أشهر الرأي الآخر، ودافع عنه بالدليل الشرعي والحجة، ورأى أن المرأة المسلمة المعاصرة لا يناسبها إلا هذا الرأي، واستطاع بذلك نقل هذا الرأي من الكتب إلى الواقع .. هذا المثال في نظري يصلح أنموذجًا لآليات التغيير؛ بشرط عدم الاعتقاد ثم الاستدلال .. بل النظر في الأدلة أولًا ودلالتها، ثم المطالبة بتغيير ما يخالف الدليل .. ومن ذلك مثلًا مسألة قيادة المرأة للسيارة ..

4- هناك قضايا جزئية كثيرة في الموضوع، منها:

- أهمية دعم وإيجاد المؤسسات والقنوات العلمية الرسمية وغير الرسمية التي تُساهم في البناء المعرفي الجاد للمثقف المسلم، الذي يكون قادرًا على صناعة الأفكار، وضبط الأصول التي ينطلق منها في بناء المشاريع الإصلاحية .. ومن ذلك أن يتضمّن هذا البناء المعرفي إيجاد الآلية والقدرة عند المثقف المسلم وطالب العلم تمكّنه من معرفة المذاهب كما هي في حقيقتها، لا كما يحب أن يراها هو.
- لتحقيق التواصل والانتشار في العالم العربي والإسلامي، تأتي أهمية التوسع في المنح الدراسية للعرب والمسلمين، وأهمية إعادة تفعيل العمل الخيري.

الدعوة الإصلاحية بما فيها الدولة أمام تحديين كبيرين : الجماعات التكفيرية .. والليبرالية المتحررة. والموقف الحازم والشديد من الأولى يُرضي الغربيين، ويسعدهم، ويجعلهم يهدون لنا الورود.. والموقف الحازم من الثانية يُغضب الغربيين، ويُشكّل وقودًا لإعلامهم، ووسيلة للضغط السياسي والإعلامي على المملكة؛ ولذلك فإننا بحاجة إلى أمرين:

- أنظمة عادلة وفاعلة تبيّن حدود الحركة لكل صاحب رأي، مع قضاء عادل وشفاف.
- مسؤولون جريئون وأذكياء في مواجهة الإعلام الغربي، ومواجهة السياسيين الغربيين ومن لفّ لفهم.



التعقيب الأول: د. خالد بن دهيش

أجاد د. منصور المطيري في تغطية القضية إجادة تامة، فقد غطى موضوع القضية بشمولية تُعطي القارئ صورة شاملة عن الحركة الإصلاحية الإسلامية (الوهابية) كما يُطلق عليها معارضوها منذ نشأتها؛ لتعارضها مع توجهاتهم نحو المنطقة وأهدافهم السياسية.

وللتاريخ فمن اعترض على هذه الدعوة الإصلاحية، وسعى إلى الخلاص منها، والي مصر محمد علي باشا وأولاده، الذين دمّروا الدرعية مهد الدعوة، وهدموا سورها، وقتلوا من فيها، والمدن التي مروا بها التي تدين بالولاء للدرعية، وأنهوا بذلك الدولة السعودية الأولى عام 1226 هجرية (التي حكمت أجزاء واسعة من شبه الجزيرة العربية لمدة 80 عامًا)؛ وذلك بسبب مناصرتها للدعوة الإصلاحية.

وأنه من المؤسف أن هذه الحملة الشرسة لم تقدّم البديل؛ بل أعادت المنطقة إلى الفوضى، والجوع، والتقاتل بين القبائل؛ حتى أتى الإمام تركي بن عبدالله من الأسرة السعودية، الذي أسّس الدولة السعودية الثانية، التي ناصرت الدعوة الإصلاحية، فالتزم بالدعوة وناصرها؛ حتى ضعفت الدولة السعودية الثانية لأسباب ليس المجال لذكرها هنا.

ثم أعاد أحد أبناء الأسرة السعودية مجد هذه الدعوة الإصلاحية، وأسّس الدولة السعودية الثالثة، وهو الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل رحمه الله- ومن بعده أبناؤه الملوك: سعود، وفيصل، وخالد، وفهد، وَعَبَدالله -رحمهم الله- ثم خادم الحرمين الملك سلمان، حفظه الله .

لقد شُوّهت الدعوة الإصلاحية ونُسبت إليها الأعمال الإجرامية والإرهابية التي تبنتها جماعات باسم الإسلام، وهو برئ منها.

ولتصحيح هذه النظرة السلبية عن الدعوة الإصلاحية، فإنني أُضيف لما جاء بالورقة الرئيسة الآتي:

1- إعادة كتابة التاريخ بتصحيح المغلوط عن هذه الدعوة، وإظهار الدور الإيجابي والحقيقي لها في بناء دولة قوية خدمت الإسلام والمسلمين، ووفّرت الأمن والأمان للمسلمين الذين يؤدون أحد أركان الإسلام (الحج والعمرة). وشرُف ملك المملكة العربية السعودية بإطلاق لقب خادم الحرمين الشريفين عليه، وأصبح كل حرم يتسع لثلاثة ملايين مصلٍّ في آن واحد. وأقامت العدل، ونشرت التعليم، وأرست أركان الدولة العصرية؛ حيث أخذت بالتحديث والتطوير في كافة مناحي الحياة، ووفق احتياجات المجتمع. وهذا الدور (إعادة كتابة التاريخ) أرى أن تقوم به الجامعات السعودية، ودارة الملك عبدالعزيز، ومراكز الدراسات والأبحاث الرسمية والخاصة.

2- حُسن استغلال الإعلام بكافة وسائله وأساليبه، خاصة الإعلام الجديد الرسمي والتجاري، مع التركيز على تجديد الخطاب الديني الثقافي، وإخراجه من الخطاب الظلامي، واللاعقلاني، والانعزالي، والمتطرف، والتحريمي ... الخ. فقد أضرّ هذا الخطاب بسمعة الإسلام والمملكة أيما إضرار.

حيث تحاول الكثير من وسائل الإعلام الربط بين أحداث الحاضر التي وقعت من عمليات إرهابية وتفجيرات، وبين الدعوة الإصلاحية؛ فأصبح تناوله داركًا بين ثنايا الكثير من الكُتّاب، والمحللين، والسياسيين، خاصة ممن يُكنّون العداء والكراهية للمملكة وفق نهجهم الطائفي والفكري، أو عن جهل بحقيقة الدعوة الإصلاحية للشيخ محمد بن عبدالوهاب التي أطلقوا عليها (الوهابية) . وكما هو في الماضي، حيث التبس الأمر على كثير من الكتاب بين دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ودعوة عبدالوهاب ابن عبدالرحمن بن رستم مؤسس الدولة الرستمية على المذهب الإباضي، التي أُسست في بلاد المغرب العربي (ليبيا، وتونس، والجزائر) بين عامي 776-909ميلادي، والتي أُطلق عليها الدعوة الوهابية من قِبل أهل السنة والجماعة في بلاد المغرب.

3-تحميل الغرب جزء من مسؤولية الإرهاب؛ حيث تَركوا المساجد في بلادهم لبثّ الأفكار المتشددة والجهادية لمن هبَّ ودبَّ ممن لا يعرفون حقيقة الإسلام الصحيح، دين السلام، والتسامح، والمحبة، والسلام، ففسروا القرآن الكريم وأحاديث الرسول وفق أهوائهم، وبما يتناسب مع خططهم الجهادية الإرهابية، ولم يدرسوا الإسلام الصحيح، كما أنهم لم يتعلّموا في مؤسسات التعليم السعودية؛ حتى تُدان المملكة بالمساهمة في انتشار الإرهاب؛ فعبدالحميد أباعود العقل المدبر لاعتداءات باريس درس في إحدى مدارس بلجيكا الرسمية، ومثله كُثر الذين وجدوا الساحة متاحة لهم باسم حرية الأديان وحقوق الإنسان، فأساءوا إلى الإسلام والدولة الخادمة للإسلام والمسلمين، المملكة العربية السعودية ببن مجتمع يجهل حقيقة الإسلام الصحيح. ووجد أعداء المملكة ضالتهم، فسخّروا المنابر والأقلام ضد المملكة؛ ظنًّا منهم أن هذا هو الإسلام الصحيح الذي ترعاه المملكة. ومن ثمَّ لابد من التعاون الرسمي مع تلك الدول الغربية؛ لتوضيح الحقيقة، ومساعدتهم على متابعة المتطرفين.

4- توضّح الإحصائيات الموثقة الصادرة من المنظمات الغربية، أن أكثر عناصر داعش عددًا يحملون الجنسية التونسية، ويُقدّر عددهم بثلاثة آلاف شخص، درسوا في مدارس تونس التي تُراقب من قِبل النظام التونسي السابق، الذي عُرف بشدته الأمنية؛ فأصبحوا في فترة وجيزة متطرفين، وليس لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب أو للمملكة أي تأثير فيهم؛ ومن ثمّ لن يتأتّى القضاء على الإرهاب دون إخماد الحرب في سوريا، وتجفيف منابع الطائفية البغيضة التي أوجدتها إيران في سوريا، والعراق، ولبنان، واليمن.

التعقيب الثاني: د. عبداللطيف العوين

الشيخ محمد بن عبدالوهاب أحد العلماء الذي أخذ على عاتقه تجديد الدعوة إلى الله، والعودة الصادقة الواعية إلى الحقيقة الإسلامية من مصدريها الثابتين الخالدين: الكتاب، والسُّنّة الشريفة، والتخلص من شوائب العقيدة، وذلك في النصف الثاني من القرن الثالث عشر. وقد ركّزت دعوته على تصحيح العقيدة الإسلامية في فكر المسلمين، وتطهيرها من مظاهر الشرك، ومجالات التوسل والشفاعة، والاستغاثة، والانحرافات، والخرف، والبدع، ومنها الاحتفال بالمولد النبوي. كما أنها أبرزت باب الاجتهاد وعدم التعصب لمذهب معين، مع أهمية إحياء فريضة الحسبة والجهاد وفق أصول الدين الحنيف الوَسَطي. وقد انطلقت دعوته في نجد، وانتشرت في اليمن، والشام، والمغرب، والعراق، ومصر، والهند، وغيرها. ويمكن تلخيص ذلك كله من خلال ما قاله الشيخ - رحمه الله - عن دعوته في مؤلفاته (36/5): " ولست -ولله الحمد - أدعو إلى مذهب صوفيٍّ، أو فقيهٍ، أو متكلمٍ، أو إمامٍ من الأئمة الذين أُعظمهم ... بل أدعو إلى الله وحده لا شريك له، وأدعو إلى سنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- التي أوصى بها أول أمته وآخرهم، وأرجو ألا أردّ الحق إذا أتاني؛ بل أُشهد الله، وملائكته، وجميع خلقه إن أتانا منكم كلمة من الحق لأقبلنها على الرأس والعين، ولأضربنّ الجدار بكل ما خالفها من أقوال أئمتي، حاشا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فإنه لا يقول إلا الحق، وأنا -ولله الحمد- متبع ولست بمبتدع". ويقول رحمه الله: " أنا أدعو من خالفني إلى أربع: إما إلى كتاب الله، وإما إلى سنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وإما إلى إجماع أهل العلم؛ فإن عاند دعوته إلى المباهلة (الدرر السنية، 55/1) انتهى.

هناك فرقة يُطلق عليها الوهابية -خرجت قبل دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب- وهي فرقة خارجية إباضية أسسها عبدالوهاب بن عبدالرحمن بن رستم المتوفى عام 197هـ ، وسُميّت باسمه وهابية، بمدينة تاهرت بالشمال الأفريقي؛ لما أحدثت في المذهب من تغيرات ومعتقدات، وكانت تكره الشيعة بقدر كراهة أهل السنة، كما أن هذه الفرقة عطّلت الشرائع الإسلامية، وألغت الحج، وحصل بينها وبين معارضيها حروب" (الفرق الإسلامية في شمال أفريقيا، ترجمة: عبدالرحمن بدوي، لمؤلفه الفرنسي: الفرد بل).

الدعوة الإصلاحية للشيخ محمد بن عبدالوهاب التي تمت بوصفها تجديدًا للدين في وقتها، لم تكن دعوة مستقلة تهدف إلى إيجاد حركة، أو حزب، أو فرقة مخالفة تستقل بحكم أو تدين جديد؛ بل كانت دعوة تصحيحية بمساندة ومعاضدة من إمام المسلمين في حينه محمد بن سعود، وهومن بيت علم رفيع؛ حيث كان والده الإمام سعود فقيهًا في الدين؛ مما يجعله يقف بكل وضوح على أهداف تلك الدعوة الصحيحة التي تخصّ توحيد الله، ونشر الدين الصحيح، وتحقّق لها أركان النجاح؛ حيث لا استقرار للدولة بدون دين صحيح معتدل، ولا دين بلا دولة تحميه. واستمر ذلك حتى الدولة السعودية الثالثة، في ظل رعاية مؤسسها الملك عبدالعزيز -طيّب الله ثراه- وأبنائه البررة من بعده، حتى العهد الميمون عهد الملك سلمان.

- مهاجمة الشيخ محمد بن عبدالوهاب لم تكن وليدة العصر الحاضر؛ بل كانت منذ نشأتها؛ سعيًا لإبطالها، فقد هُوجمت بأكاذيب واتهامات باطلة تناقضها كتب الشيخ محمد بن عبدالوهاب - رحمه الله - ورسائله، منها أنها جاءت بمذهب خامس، وأنها لا ترى ختم النبوة، ولا أحقية الشفاعة، ولا تحبّ أهل البيت ولا تنزلهم منزلتهم التي تليق بهم، وأنها تُكفّر عامة المسلمين.
- المملكة العربية السعودية دولة حباها الله - بالإضافة إلى حمل راية الإسلام الصحيح المعتدل، وولاة أمرها من آل سعود- بعنصرين عظيمين، وهما: الأول: الريادة والقيادة الإسلامية، وخدمة الحرمين الشريفين وكتاب الله الكريم. والثاني: الأمن والاستقرار جراء قوة اللحمة الداخلية بين الشعب وولاة الأمر. ويُثير هذا كل من لا يودّ لهذه الدولة الخير، سواء كان لأغراض سياسية، أو مطامع اقتصادية، أو توجهات دينية منحرفة (مغالية أو منحلة)؛ مما جعل تلك الفرق تجتمع على كيفية سلب ما تتميّز به المملكة العربية السعودية ليحقق كل هدفه – أعجزهم الله – وذلك من خلال رسم صورة ذهنية -مستغلة سوء وسم الوهابية الإباضية- بأنها دعوة خاصة بالدولة السعودية، تخالف الدين الحنيف، وتنادي إلى الإقصاء والتفرد؛ ومن ثمّ فإنها لا تستحق أن تُمثّل المسلمين وقيادتهم، وتُشكّك داخليًّا بها لإيجاد انقسامات تُفتّت اللحمة التي تميّزت بها.
- والأمر الذي يحتاج التركيز عليه، كيف يمكن أن تكون برامجنا الوقائية: دينيًّا، وتربويًّا، وإعلاميًّا، واجتماعيًّا فاعلة؛ حتى لا يتأثر البعض من داخل المملكة بهذه الدعوات، وحتى لا تكون هذه الدعوات أداة تعمل على نقض عرى هذه اللحمة، أو شاهدًا مسخرًا على عدم استحقاق المملكة العربية السعودية لقيادة الأمة الإسلامية؛ لذا من الأهمية بمكان أن تنشر ثقافة الحوار بين الفئات كافة وفق منهج وآداب الخلاف التي حدّدتها كتب الفقه المتخصصة المستقاة من الشريعة السمحة، وأن يكون لدينا اتفاق على ذلك؛ حيث إن نقاط الاختلاف التي تجري حاليًا يمكن تجاوزها إذا ضُبطت جودتها وفق معايير فقه الخلاف.

المداخلات حول القضية:

الوهابية وجدلية المصطلح والدلالة:

بنظر د. حاتم المرزوقي، فإن الهدف من إطلاق هذا الاسم على دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب؛ لتشويه صورتها، وإيهام الناس أن هذا دين جديد وفكر مختلق يُراد به أنها تنتسب إلى رجل مخترع لدين جديد، على غرار المزدكية نسبة لمزدك، والمانوية نسبة لماني، والزرادشتية نسبة لزرادشت، والبهائية نسبة للبهاء عباس؛ ومن ثم يقولون للناس: هذه حركة وهابية نسبة إلى مؤسسها محمد بن عبد لوهاب؛ حتى ينفِّروا الناس منها، وهذا ما حدث مع كثير من الناس، وللأسف الشديد.

إن هذا الاسم لم يُطلق بشكل عفوي أو اعتباطي؛ بل أتى بعد مراجعة وتخطيط من خصوم المملكة. والحقيقة أنه كان في القرن الثاني الهجري دولة لبعض الخوارج في شمال أفريقيا، اسمها (الوهابية)؛ نسبة إلى مؤسسها عبدالوهاب بن عبدالرحمن بن رستم. وكانت حركة سيئة للغاية، حاربت أهل السنة، وأبغضت أهل السنة والشيعة معًا، وعطّلت السنة النبوية، كما عطّلت فريضة الحج، فمقتها سائر المسلمين، وهاجمها كثير من علماء الأندلس والمغرب وعلماء الشرق.

وخصوم المملكة وكارهوها يريدون أن يلصقوا هذه التهمة بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب الإصلاحية التي جميعنا نفخر ونعتز بها.

وأضاف: أفتخر بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ومن اعتزازي بها لا أرى الانسياق وراء تسميتها بالوهابية. هي فقط دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وهي دعوة اصلاحية.. خصومنا أطلقوا عليها "الوهابية"... هي دعوة إحيائية قامت على دعوة الناس إلى التمسك بآداب الإسلام على منهج الكتاب والسنة، وعلى نهج السلف الصالح.. فكيف تصبح هي بذاتها فكرًا ندعو له، وهي ما أتت إلا لإصلاح الدعوة لغير الإسلام.

ويرى د. عبد الله بن صالح الحمود أنه لا ضير أن تطرح مفردة (وهابية)؛ لأنها مفردة مقرونة باسم صاحب الدعوة، مثل ما نردّد دومًا: قال الشيخ ابن باز، والشيخ ابن عثيمين، وربما نطلق مصطلح عليهما كمثل (البازية/ العثيمينية).

كيف نرفض أن ما جاء به الشيخ محمد بن عبدالوهاب ليس فكرًا، ونقول: إنها حركة، الحركة في الأصل نابعة من (فكر).. مفردة حركة تعني في علم الاجتماع: إحداث شيء لم يسبق حدوثه، أو أتى بصورة أوضح، سواء كان قولًا أو عملًا.

وتساءل د. خالد بن دهيش: المؤرخون (معظمهم) أطلقوا عليها دعوة تصحيحية لمجتمع خرج عن تعاليم الإسلام الصحيح (وهي الحقيقة)، فلماذا نطلق عليها حركة أو فكرًا؟

وبدوره أوضح د. عبد الله بن صالح الحمود: نطلق عليها حركة؛ لما تحمله دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب أو رسالته من إحداث شيء، وإن كان ليس بالجديد؛ بحكم كون الإسلام سابقًا لظهور الشيخ؛ إنما لدوره الفاعل التصحيحي يُعدّ ما قام به الشيخ (حركة)، وهي مفردة لا تعيب على الشيخ؛ بل تُعبّر عن نضال قويم انتشر خيره بين الناس.



والقول بأن وصفها بالوهابية شيء طبيعي ليس صحيحًا؛ لأن أساس تلك التسمية في الغالب انطلق لأجل التشويه والإساءة.

أما ما يتعلق بما ذكره الدكتور محمد الشويعر من أن أعداء الدعوة استخدموا تلك الحركة التي قادها عبدالوهاب بن رستم، التي اتسمت بسمات خارجة عن الأصول الدينية المعروفة، والغرض من ذلك تشويه سمعة الدعوة ومبادئها لدى المسلمين في بلاد المغرب العربي؛ فإن هذا التفسير يعدُّ واحدًا من تفسيرات عديدة لأسباب إطلاق اسم "الوهابية" على الدعوة. ورفض هذا التفسير ليس مناسبًا؛ لأن الحملة التي قُصد بها تشويه دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب الإصلاحية كانت واسعة النطاق، بما في ذلك منطقة المغرب العربي؛ ولكنه ليس التفسير الوحيد.

أما ما ذكره الكاتب خليل الخليل من أن مصطلح "الوهابية" يُماثل ما نُسب إلى المذاهب الأربعة، فهذا - في رأيي- غير صحيح؛ لأن القول بهذا الأمر هو القول بأن ما جاء به الشيخ مذهب جديد، كما أن الشيخ يستند في فتاواه وآرائه على المذاهب الأربعة. وما ذكره الكاتب من أن "الوهابية" أصبحت وجهًا آخر للسلفية، فهذا غير صحيح أيضًا؛ لأن السلفية الصحيحة هي ما كان عليه السلف الصالح من منهج ملتزم بالكتاب والسنة. ودعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب عودة إلى ذلك المنهج، ولم تستخدم السلفية لأغراض حزبية أو اسمية كما شاع في عصرنا الحديث، للأسف الشديد.

كما أقحم الكاتب خليل الخليل في تعقيبه قضايا أخرى، مثل رأيه أن هناك حاجةً إلى إصلاح مضامين السلفية وممارساتها التي أساسها دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب من الداخل، وهنا نتساءل: كيف نطالب بإصلاح مضامين الدعوة، وهي تلك المضامين التي نادى بها القرآن الكريم والسنة النبوية؟

إن دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ليست منهجًا جديدًا، وليست فكرًا جديدًا، وأكرّر هنا المناداة بأن من يستطيع أن يجد في كتابات الشيخ ورسائله أي خروج على الكتاب، والسُّنة، وأعمال السلف الصالح؛ فعليه أن يبرزه ويواجهنا به.

لذا أدعو الكُتّاب والباحثين إلى عدم الانسياق وراء من ينادي بالوقوع في فخّ مصطلح "الوهابية"، وأنه مجرد مصطلح؛ بينما يتناسى هؤلاء الهدف الحقيقي من وراء نشر هذا المصطلح؛ للإساءة إلى دعوة سلفية صحيحة ونقية ليس فيها مضامين تختلف عما جاء في القرآن الكريم، وما أمر به نبيه محمد (صلى الله عليه وسلم). وبخاصة أن هذا التشويه جاء من جهات متعددة، لا يروق لها ما تقوم به تلك الدعوة الصافية من جهة، وما أدّت إليه من قيام دولة إسلامية تقوم على الدين أولًا، وتحفظ حقوق الناس وتخدم الحرمين الشريفين، وهي الدولة السعودية التي مكّنها الله في هذه البلاد، لتخدم المسلمين جميعًا، وتحافظ على هذا الدين؛ لأنها قامت على أساسه وما تزال.

وأوضح د. فهد الحارثي أن رأي الملك سلمان المنشور في صحيفة بعينها؛ إنما نُشر بصفته " تعقيبًا" وحوارًا مع كُتّاب وباحثين آخرين، فهو قابل لأن يكون هناك آراء أخرى، ولو أراد -حفظه الله- أن يكون قوله ملزمًا للباحثين أو للكُتّاب؛ لكان اختار شكلًا آخر لنشره وتعميمه (مرسوم أو أمر مثلًا) .. نحن في هذه الحالة أمام سلمان المثقف.

ولا أعتقد أن لنا فكاكًا من الوهابية، وهذا لم يعد أمرًا يخصنا وحدنا، بحيث نُقرّر الإلغاء من عدمه، إنه يخصّ العالم كله الذي يردّد مصطلح الوهابية، والأسلم في هذه الحالة ألا نرتاب من المصطلح؛ بل لا مانع من أن يُقال عن دعوة الشيخ بأنها وهابية نسبة إليه، ثم نسعى بالتالي إلى تطهير المصطلح وتنقيته مما أُلصق به من تهم غير صحيحة، وكذلك التفريق بينه وبين غيره من الحركات القديمة المشبوهة.. لقد تعمّدت أن استخدم صفات متعددة: دعوة، حركة الخ.. لأنه لا مشاحة في المصطلحات.

وبدوره أوضح أ. مسفر الموسى أن لدينا توجهين عامين فيما يخصّ قضية الوهابية، ولعلهما متناقضين.. الأول: أن الوهابية لم تكن سوى دعوة إصلاحية تجديدية.. ثم ما نلبث إلا أن نتمثّلها -وهذا التوجّه الآخر المناقض- سلوكيًّا برفض كل مختلف ومخالف وكأنها عقيدة.. لقد ساد خطاب وصف الجزيرة - بما فيها أهل مكة، والمدينة، والأحساء، والحجاز بالجهل والبدع؛ بل والشركيات.. مع العلم بأن علماء الدين لم ينقطعوا في تلك الفترة، وإنما بدعوى الاختلافات المذهبية تم تكريس هذا الخطاب.

نحن من يكرّس تحجيم الإسلام العظيم في مسميات محدودة.. والسؤال المهم: هل نحن ملزمون بمسميات (الوهابية) و(السلفية) ونحوها، والدفاع عنها حتى تصبح اتجاهًا دينيًّا داخليًّا له حدوده ضمن الإطار العام للإسلام.. أم أن الأولى أن نبقى مظلة إسلامية عامة تحوي كل الاختلافات الفقهية والمذهبية، باعتبار موقعنا الإسلامي كدولة.. وباعتبار المقدسات التي يفد إلينا بسببها المسلمون على اختلاف مشاربهم؟

نحن من أوجد أزمة الإطار.. وسيأتي الوقت الذي لا نستطيع الخروج منه.. وإن أردنا.

وقال أ. عبدالله الضويحي: لعلنا نتفق جميعًا على أن الوهابية ليست مذهبًا بقدر ما هي دعوة أو حركة إصلاحية، هدفها تجديد الدين وتنقيته مما علق به من شوائب، وتقديمه بصورته الصحيحة التي جاء بها محمد - صلى الله عليه وسلم- وبالتالي فإن المشكلة ليست في جوهرها، ولا فيمن تبناها بقدر ما هي في بعض من متلقيها وتابعيها، وكذلك أعدائها، ممن رأوا في نجاحها عودة الإسلام الصحيح بوصفه رسالة ومنهج حياة.

وقد بحثت في قواميس اللغة عن المعنى اللغوي والاصطلاحي لمفردة "حركة" وما يشابهها، وأيضًا مفردة "دعوة"؛ فوجدت أنها تُعبّر عما قام به الشيخ محمد بن عبدالوهاب؛ لذلك ليس مهمًّا التركيز على الصفة قدر تركيزنا على المضمون.

أما الأكثر أسى، فهو ما وجدته في الموسوعة الحرة "الويكيبيديا" من تعريف لها من أنها "حركة مذهبية وسياسية سُمّيت بهذا الاسم؛ لأنها انتسبت لمحمد بن عبدالوهاب، الذي قام بالدعوة ونشرها؛ لكن أتباع المذهب لا يُسمّون أنفسهم وهابيين".

ويتضح من التعريف شخصية مصدره، وبالتالي هدفه، دون أن أجد تصحيحًا لذلك أو تعريفًا يُعبّر عن حقيقتها. والـ "الويكيبيديا"، وإن كانت ليست مصدرًا رسميًّا يُعتمد عليه؛ لكنها تظلّ تؤثر في الرأي العام ويعتمد عليها بعضهم.

ولم يخلُ الإنترنت أيضًا من مغالطات حول الدعوة، وحول الشيخ نفسه. وفي بعضها جاء أن ظاهرها إخلاص التوحيد لله، وباطنها تمزيق المسلمين، وإثارة الفتن. والمشكلة أن هذا ليس مقصورًا على الخارج؛ بل إن هناك من الداخل من يتبنّى بعض هذه الأفكار ويُروّج لها، وهذا واضح في تويتر، وبعض الكتابات وبأسماء صريحة دون مواربة، وفي بعض اللقاءات الاجتماعية.

والمشكلة الأخرى بعض المتشددين، خاصة في المسائل الخلافية ممن يمثّلون رموزًا دينية تؤثر في المتلقي، ولها مكانتها وأتباعها.

لقد ظهرت دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب قبل ميلاد الدولة السعودية؛ بل أسهمت في بنائها، وذلك في القرن الثامن عشر الميلادي. ولم تكن رسالة سماوية صالحة لكل زمان ومكان، بقدر ما هي دعوة تصحيحية بشرية قابلة للتنقيح والتصحيح وفق ما تتطلبه ظروف العصر، دون مساس بجوهرها، فما كان يصلح لذلك الزمن، وما صدر منها مما فرضته ظروف المرحلة؛ قد لا يناسب هذا العصر بعد أن توحّدت المملكة تحت راية واحدة، وهوية واحدة.

ومن جانبه، تطرّق د. عبدالله بن صالح الحمود إلى مسألتين مهتمين برأيه؛ الأولى: وهي الخلاف دومًا على مسمى هذه الرسالة أو الدعوة. والثانية: تكمن في التطرّق إلى الشخصية التي ربما كانت سببًا في فهم بعض المجتمعات التي تتهم دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب بأنها دعوة تطرفية تؤدي إلى نشؤ إرهاب، وهي الشخصية المنتمية إلى / عبدالوهاب بن عبدالرحمن بن رستم، ابن مؤسس الدولة الرستمية التي هي على المذهب الإباضي، التي تأسست في بلاد المغرب العربي (ليبيا – تونس- الجزائر) ما بين 776م – 909م، والتي أُطلق عليها الدعوة الوهابية من قِبل أهل السنة والجماعة في بلاد المغرب.

إن المفردات التي ارتبطت بالشيخ محمد بن عبدالوهاب وأنشئت أشبه بالاتهامات؛ هي محل خلاف أصلًا بين المجتمع السعودي خاصة، وبعض المجتمعات في بعض من الديار الإسلامية التي تُجانب صواب الكلمات وتلصقها بطبيعة رسالة الشيخ محمد بن عبدالوهاب؛ ومن ثمّ فكل ما يُطرح من مسميات، مثل (حركة – دعوة – فكر)؛ أجزم بأن تعريف كل مفردة من هذه المفردات تسبّبت في مفاهيم ومغالطات أوجدت اتهامًا ووصمًا في غير محله تجاه الدعوة التجديدية التي قام بها الشيخ محمد بن عبدالوهاب.

وإن كانت تلك المفردات هي السبب في إلصاق التهم علينا؛ بوصفنا مجتمعًا سعوديًّا، أمام تعريف يعنى من قِبل فئات مجتمعية استنادًا إلى أهوائهم أو اعتقاداتهم، إلى أن وصلوا بنا إلى درجة الاتهام بديننا الإسلامي من أنه سبب نشؤ الإرهاب أو التطرف المؤدي إلى معاداة الآخرين، فذاك شأنهم، ونحن من حقنا إيضاح حقائق ما تقصده دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب.

إن تلك المفردات مجتمعة تُعبر عن مفهوم واحد، وهو أن هدف دعوة أو رسالة الشيخ محمد بن عبدالوهاب دعوة إصلاحية، وأنها توضّح مفهوم العبادات السليمة في زمن كان يسوده مظاهر الشرك، ومجالات التوسل، والشفاعة، والاستعانة، والانحرافات، والخرف، والبدع.

والعجيب في الأمر وما نعيبه حقيقة أن تتأتى تلك الاتهامات من أناس مسلمين، يتبعون مجتمعات عربية وإسلامية كان يُفترض منهم أن يكونوا عونًا لدعوة كان لها دور فاعل في تصحيح مفاهيم مغلوطة، والتي قيّض الله لها دعوة مباركة أسهمت في ظهور التصحيح لمجتمع أساسه التوحيد الخالص لله سبحانه وتعالى.

ومن ناحية أخرى، فإن الحديث عن شخصية عبدالوهاب بن عبدالرحمن بن رستم الخارجي الإباضي، والعلاقة التاريخية التي بينها وبين الشيخ محمد بن عبدالوهاب، حديث يطول، وقد أفرد معالي الدكتور/ محمد بن سعد الشويعر كتابًا تحت اسم (تصحيح خطأ تاريخي حول الوهابية). وقد كان سبب هذا التأليف -وبإيجاز- في مقدمة هذا الكتاب، من أن خصوم دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأعداء دين الله الحق, من أرباب المصالح الدنيوية، ممن يريدون إطفاء نور الله، والتصدي لمن يريد أن يحقّق التوحيد الذي أمر به الله، وأرسل به رسله من أولهم إلى آخرهم ((دعوة، وتطبيقًا، وتنقية من مداخل الشرك)).

ويضيف في القول: إن أولئك وجدوا دعوة خارجية إباضية في شمال إفريقيا نشأت في القرن الثاني الهجري باسم الوهابية؛ نسبة إلى عبدالوهاب بن عبدالرحمن بن رستم الخارجي الإباضي, ووجدوا فتاوى من علماء المغرب والأندلس ممن عاصرها أو جاء بعدها، فأرادوا شيئًا عاجلًا يحقّق الغرض، وينهض الهمم؛ لإسكات الدعوة الجديدة؛ خوفًا من توسع الدائرة الإسلامية، حيث قامت الدولة السعودية الأولى مناصرة للدعوة التي قام بها الشيخ محمد بن عبدالوهاب، فتصافحت يد الإمامين: محمد بن سعود، ومحمد بن عبدالوهاب - رحمهما الله- في عام 1157هـ على القيام بهذه الدعوة؛ نصرة لدين الله، وأداء لأمانة التبليغ.

ووفّق الله ولقيت الدعوة قبولًا وتأييدًا، حيث امتدت إلى العام الإسلامي كله، وتأثر بها العلماء من الحُجّاج، وبدأوا في نشرها في بلادهم.

فخاف المنتفعون دنيويًّا من آثارها، ووجدوا الضالة في الوهابية الرستمية, المدفون خبرها في سجلات التاريخ، فنبشوا في فتاوى العلماء حولها، وكانت فرصة بإلباس الثوب القديم للدعوة الجديدة، ووجدت الإشاعة صدى في النفوس؛ لأن أرباب المنافع الدنيوية جهدوا في التمويه والتشويه. والناس عادة يتلقفون الكذب أكثر من اهتمامهم وتحريهم للصدق.

ولذ فإن للإشاعات دورًا كبيرًا في تغيير المفاهيم، ووضع تصورات تغاير الواقع، بحسن نية أو سوء فهم.

وأقترح هنا؛ من أجل إظهار معلومات تصحيحية وحجج أوسع عن دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، الرجوع إلى كتاب معالي د. محمد بن سعد الشويعر؛ فهو كتاب قيّم، وزاده دعمًا ومؤازرة تقديمه من لدن معالي الشيخ الدكتور صالح بن عبدالله العبود مدير الجامعة الإسلامية سابقًا.

الوهابية بوصفها أيديولوجيا عامة / سياسية:

يرى د. عبدالله بن ناصر الحمود أن الوهابية من باب أيديولوجيا بدرجة امتياز، عندما نمايزها بغيرها من المدارس الفكرية. فللوهابية خصوصيات اجتهادية، تصل في بعض الحالات إلى مستوى "الوضع"، فتكون في عدد من مظان خصوصيتها أشبه بالأيديولوجيا الوضعية، وإن تلبّست بلباس الاجتهاد، واتكأ مُنظّروها وفقهاؤها على ما نحتُوه من القواعد الفقهية، وقواعد المصالح والمفاسد، وأبواب أخف الضررين، والأحوط، وسدّ الذرائع. ويندرج ذلك بشكل خاص على ما ترسّخ للوهابية في نظرتها للكون والحياة لدى تلاميذ الشيخ وأتباعه، ممن تبنتهم المؤسسة الرسمية؛ حيث بدت الخصوصية تتشكّل في مظاهر بدت أقرب إلى الأيديولوجيا منها إلى الفقه الشرعي الصريح، ومن ذلك قضايا جوهرية، كالرأي في الاختلاط ، وحجاب المرأة، وقضايا مهمة أخرى كقيادة السيارة، وفرض إغلاق المحال التجارية في غير صلاة الجمعة، وعدد ليس قليلًا من مظان الاحتساب عند الوهابية.

لكن الوهابية من باب آخر، وهو أوسع أبوابها - كما يبدو- حركة عقائدية فقهية تصحيحية، قامت على أصول التشريع، ونحتت أسسًا متينة صائبة وقوية في مرجعيتها وحجتها الشرعية، فهي بذلك مدرسة عقدية فقهية بامتياز.

والمأمول اليوم -وفقًا لنظرية الحطيئة وبني أنف الناقة- أن يجتهد الوهابيون أنفسهم في نفض كل ما هو أشبه بالوضع من النقل عن مصدري التشريع، وتجلية نظرتها للكون والحياة، وتحقيق تراجعات جريئة عن كل ما هومن صنع البشر وإن أوّلوه، والاحتكام فقط إلى النصوص المعصومة، وإن خالفت ما اعتاده الوهابيون أو أسسوا له خلال القرون اللاحقة لدعوة الشيخ -رحمه الله- وقيام الدولة المباركة في كافة عقودها حتى اليوم.

وقال د. خالد الرديعان: إن الوهابية ليست حركة إصلاح ديني فحسب؛ ولكنها أيضًا "أيديولوجيا سياسية"؛ بحكم أن الحكام السعوديين تبنوا هذه الحركة منذ ظهورها. ولا أعتقد أن هذا يعيب الحركة أو من تبناها؛ فالحركة لكي تنجح لابد أن يكون لها حاضنة سياسية لتتجذر في المجتمع.. وقد كانت حاضنتها الأولى إمارة الدرعية.



وقد أقبل المستقرون من البدو وممن حولهم على الدين بصورة كبيرة، فقد وجدوا فيه كذلك موردًا اقتصاديًّا؛ فالجهاد المنظّم تحت راية السلطة الوليدة (لتأسيس الدولة) أصبح بديلًا للغزو. والزراعة أصبحت بديلًا مناسبًا للرعي في بعض وليس كل الهجر، إضافة إلى ما يصل الهُجر من الرياض من مؤونة وأسلحة. ويشير أحد المؤرخين في هذا الصدد إلى أن قسمًا كبيرًا من سكان الهُجر باعوا حيواناتهم (الجمال تحديدًا) في سوق الكويت؛ لرغبتهم في الاستقرار والإقامة في الهجر، والتفرّغ للعمل الزراعي والعبادة. وفي الوقت نفسه كانت الهُجرة الواحدة كخلية النحل؛ بسبب الذين أقبلوا على المساجد عندما يعلمون بوصول "داعية أو مُطوّع" من الرياض.

وبمرور الوقت تجذّرت نزعة التدين عند السكان، وتعمّق الولاء للملك عبدالعزيز؛ بما تحلى به من صفات كاريزمية، وقدرات فذة على الإقناع، وبما استطاع إنجازه خلال عقد العشرينيات من القرن العشرين، عندما بلغ عدد الهجر أو القرى الجديدة نحوًا من (200) هجرة، توطّن بها أكثر من (15) قبيلة. وتقول التقديرات: إن تلك الهُجر ضمّت كذلك زهاء (70) ألف مقاتل كانوا على أهبة الاستعداد لتلبية نداء الملك، الذي شكّل بدو الهجر أكثر من 90٪ من جيشه الذي استخدمه في ضمّ قرى نجد أولًا، ثم الأحساء (1913)، ثم عير (1918) ثم حائل (1922) ثن الحجاز (1926) علمًا أن التوطين كان قد بدأ عام 1912 بهجرة الأرطاوية لمطير(شمال شرق نجد)، والغطغط لعتيبة (غرب نجد)، ودخنة لحرب.

ومن هنا، يتضح لنا أن الحافز الديني كان عاملًا مؤثرًا في استقرار البدو وتوطنهم، إضافة إلى المزايا الاقتصادية التي بدأ البدو بالحصول عليها نتيجة انخراط معظم أبنائهم بجيش "الإخوان"، الذي كان قد أسسه الملك عبدالعزيز لإنجاز عملية التوحيد.

وفي عام 1925، وبعد 13 عامًا من تأسيس هذا الجيش واستقرار الأوضاع نسبيًّا، حدث انشقاق ؛ فقد رأى البدو أنهم قد اُستخدموا كأداة، ولا سيما أن الملك بدأ في عام 1925 اجراء محادثات مع القوى المحيطة بالمنطقة؛ لضمان حدود دولته الوليدة...إضافة إلى إرساله لابنيه سعود وفيصل في بعثات خارجية لإجراء مفاوضات، ومنعه التجارة مع الكويت؛ لخلاف بين الملك وبريطانيا. وهي القضايا التي أثارت حفيظة جيش الاخوان، مما عدوه انحرافًا ومهادنة عن الخط الديني للوهابية، ولاسيما بعد أن تقلّص الجهاد لالتقاط الأنفاس، ولتثبيت أركان الدولة الوليدة. كانت حجة الإخوان المنشقين أنه يلزم الاستمرار والتمدد وعدم التوقف؛ فالجهاد مسألة شرعية مفروغ منها، في حين أن الملك كانت له حسابات سياسية تتعلق بضرورة عدم استعداء بريطانيا، التي كانت تسيطر على بعض دول الخليج والعراق وشرق الأردن، والحفاظ على ما تم الحصول عليه وحمايته. جادل المنشقّون الملك بأن ما قام به يعدُّ "خروجًا" على الإسلام الذي عرفوا، وأن التوقف عن الجهاد يتعارض مع قضية الولاء والبراء (كانوا يرون أن كل من ليس على منهجهم يجوز قتاله).

واستمر انشقاقهم نحوًا من ثلاث سنوات، تخلله مؤتمر كبير عُقد في الرياض عام 1928م؛ لرأب الصدع، وإعادة الأمور إلى مجراها.. وقد تم ذلك ظاهريًّا، حيث هدأت الأمور؛ لكن البدو الاخوان عاودوا انشقاقهم وبقوة هذه المرة؛ مما دفع الملك إلى ملاقاتهم في معركة السبلة الشهيرة في نوفمبر 1929م. كان جيش الملك هذه المرة من البدو الذين لم ينشقوا عنه، وعدد كبير من أبناء القرى والبلدات النجدية. واستمرت المعركة نصف ساعة فقط ؛ لكنها تعدّ النهاية الحقيقية لجيش الإخوان. بعض الهجر دُمّرت، وبعضها هجرها سكانها إلى الحواضر والمدن الكبرى، وتم تأسيس "جيش أبيض" أصبح لاحقًا نواة للحرس الوطني.

أردت من هذا العرض الموجز تبيان ما قصدته بالأيديولوجيا السياسية، وأن الوهابية خدمت كثيرًا في هذا الجانب، سواء في مرحلة تأسيس الدولة السعودية الأولى أو في الطور الثالث منها.

لا أحد منا -باعتقادي- يُعادي الدعوة الوهابية أو دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب الإصلاحية؛ وليس من حق أحد في الوقت نفسه أن ينعت كل من ينتقدها بأنه مناوئ أو عدو للحركة، كما أنه لا يجوز وضع كل هؤلاء في سلة واحدة، وتصنيفهم أعداء يريدون تشويهها أو الإساءة إليها وإلى أتباعها؛ فلهذه الدعوة الكثير من الإيجابيات؛ إذ إنها خلّصت الدين من البدع والشركيات التي كانت سائدة في نجد، كتقديس الأولياء والأضرحة، مما يدخل تحت الشرك بالله. ومن حسناتها التي لا ينكرها عاقل أنها شكّلت في بداياتها أيديولوجيا سياسية مكّنت حكام آل سعود من تأسيس دولة مترامية الأطراف؛ أصبحت لاحقًا المملكة العربية السعودية. ومن حسناتها أنها استطاعت صهر الناس في قالب واحد؛ ومن ثمّ خضوعهم لدولة واحدة، بديلًا للنزاعات القبلية والإمارات المشتتة التي كانت تعادي بعضها بعضًا؛ بسبب الفراغ السياسي، وتراخي سلطة الدولة العثمانية... وكلّ ذلك يعدُّ إيجابيات لا ينكرها إلا جاحد أو من عنده عمى تاريخي.



وذكر أ. خالد الحارثي أنه وفي أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر كانت أرجاء العالم الإسلامي تفور بالحركات الإصلاحية بالحسّ نفسه الذي قامت عليه الحركة الوهابية. وهي أسس اتفقت الحركات الإصلاحية على تبنيها، ومنها: الاستقلال عن الدولة العثمانية، وضرورة العودة إلى القرآن والسنة بوصفهما أساسًا لوحدة المسلمين، والعمل على تنقية الدين الإسلامي من الشوائب التي علقت به عبر العصور، والجهاد ضد الاستعمار.

ويعود تركيز الحركة على الجانب العقائدي؛ بصفته ضرورة للتباين مع خصمها الرئيس الدولة العثمانية، التي كان يقع على عاتقها رعاية الاستبداد والظلم في الأقاليم، والقبضة الحديدية لولاتها، ورعاية التقاليد الصوفية، وتكريسها المظاهر والطقوس المبتدعة في مواسم الحج، وعلاقاتها مع الدول الغربية، وتراجع سيطرتها على بلاد المسلمين التي وقعت فريسة الاستعمار.

تعدّ الدعوة الوهابية حركة صحوية قامت على إثرها الدولة السعودية الأولى، وظلت الدعوة حية عقائديًّا؛ لما تحمله من افتراق مع الدولة العثمانية، وضرورة للاستقلال عنها وعن سلطتها قبل أن تحل بعرب الجزيرة نكبة الاستعمار، خصوصًا بعد قبول بعضهم في حركة النهضة العربية العون من إنجلترا وفرنسا والدول الغربية؛ الأمر الذي جعل من تمسّك دعاة الحركة أصلب وأقوى في مواجهة الخيارات الصعبة.

وعمومًا، فالفهم الملتبس في كونها حركة دينية أو سياسية من شأنه تلويث الحركة فقهيًّا ومنهجيًّا، وشيطنتها بدعاوى سياسية في سياق ديني، والأصح أنها حركة سياسية ذات وجدان ديني، واجتماعي، وإصلاحي، والتلاقي بين الإمامين ناتج رحلة الشيخ محمد بن عبدالوهاب التي عرف منها أحداث العالم الإسلامي وما يُحاك له، ويقين الإمام محمد بن سعود بضرورة السبق؛ لبعث فكرة رفض الاستسلام المخيم على عرب الجزيرة بسلطة السيف العثماني وشبح الاستعمار الغربي.

الوهابية والهجوم على المملكة: هل نحن بحاجة إلى تصحيح النظرة أم نفيها بالأساس؟

تساءل د. حاتم المرزوقي: كيف نصحّح النظرة إلى مفهوم ينفيه الموقف الرسمي للدولة، وجارح لوجدان المواطن؟ كلمة "الوهابية" لفظة مستحدثة يُطلقها خصوم الملكة عليها؛ للانتقاص من مكانتها وقدرها، وتذكر دائمًا في سياق سلبي عن هذا البلد وأهله. والمملكة تؤكد دائمًا أن دين الدولة هو الإسلام، وعقيدتها التوحيد على منهج السلف الصالح.

وكلمة الوهابية كلمة لا تصحّح، وإن صُحّحت فهي غير مقبولة أصلًا، وهي اتهام للمملكة بفكر هي تنفيه، ومناقشته من باب تصحيحه أو تحسينه إثبات له، وتأكيد عليه، واعتراف به.

والمملكة مُفترى عليها من خصومها بلفظ "الوهابية".. ، فالمملكة عموما نشأت على عقيدة التوحيد، ودستورها الكتاب والسنة، وعلى مذهب السلف. هذا موقف الدولة الرسمي، وهذا بيان المؤسسة الدينية، وهذا ما يمثلني شخصيًّا.

ومن هذا المنطلق، فالأولى نفي هذا الاتهام عن المملكة لا تصحيحه، وتفنيد رأي الخصوم، وتبرئة المملكة منه. وأن الدولة لا في خطابها الرسمي، ولا في ممارساتها قط تبنّت فكرًا باسم الوهابية. ودعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب تصحيحية قامت على منهج صحيح أصله الكتاب والسنة، وظلمًا وزورًا من أعداء المملكة وخصومها اتهمت به.

ويرى د. خالد بن دهيش أننا أمام نظرة تجاه المملكة تصفها خطأ بأنها حاضنة لفكر أطلقوا عليه (الوهابية)، وأنه فكر تكفيري يجب محاربته ومحاربة منبعه المملكة، وأن داعش وغيرها من المنظمات التكفيرية الجهادية تتخذ هذه الدعوة منهجها ودستورها؛ لذا لابد من تصحيح هذا الاتهام للمملكة، وذلك من خلال إيضاح أن المملكة دينها الإسلام الصحيح، ودستوره القرآن الكريم والسنة النبوية. والدولة السعودية الأولى، والثانية، والثالثة ناصرة الدعوة التصحيحية للإسلام مما اعتراه من شركيات؛ ومن ثمّ فقد نادت هذه الدعوة إلى توحيد العبادة لله وحده.

بينما تساءل د. يحيى الحارثي: لماذا يُنظر للكل على أنهم وهابية أو ملزمين بالمنهج الوهابي أو راضيين عنه؟ هذا أمر "مناطقي أو جهوي" فُرض على الجميع.. دعنا إذًا نُصحّح النظرة للصوفية أو غيرها.

واختلف أ. عبدالله الضويحي مع ما ذهب إليه د. يحي الحارثي، حيث يرى:

أولًا: ليس هناك ما يُسمى بالوهابية، فهي ليست مذهبًا، هي حركة إصلاحية، والتهمة تم إلصاقها لهدف معين، والمفروض تصحيح هذه النظرة.

وثانيًا: المملكة دولة واحدة، ودينها واحد؛ ليس هناك مناطقية في الدين.

أما د. فهد الحارثي، فيرى أنه لا مبرر للحساسية الرسمية أو غير الرسمية من مسمّى الوهابية، فالوهابية واقع ماثل فكرًا وسلوكًا، ولا غضاضة فيه بأي شكل من الأشكال، وهي نسبة إلى الحركة الإصلاحية التي قادها الشيخ محمد بن عبدالوهاب مع الإمام محمد بن سعود، ولعل إنكارها بالكلية إنكار لجزء مهم من تاريخ البلاد. هذا فضلًا عن أن الإنكار ليس الحل الصحيح؛ بل الحلّ الصحيح توضيح الصورة حولها وتبرئتها مما يُنسب إليها من سلبيات؛ ومن ثمّ تحويلها إلى صورة إيجابية في نظر العالم.

والمملكة لا تنكر الوهابية من حيث هي حركة إصلاحية؛ وإنما تُنكرها بوصفها مذهبًا، وليس هناك سوى المذاهب المعروفة والمنسوبة إلى الأئمة من أصحابها.

إننا بهذا الإنكار لا نزيد عن أننا نحوّل الوهابية إلى " تهمة" يجب أن نستميت في إنكارها، وهذا مسيء لها ومسيء إلى تاريخ الدعوة أو الحركة الإصلاحية.. وما دمنا نؤمن بأنها دعوة إصلاحية، فكيف نتبرأ منها؟!

بينما يرى د. عبدالله بن ناصر الحمود أن من المهم النظر بتجرد وموضوعية لموقع الوهابية من بلادنا في أصل النشأة خصوصًا، وكذا في تطوّر المدرسة الدينية عندنا بأفرادها ومؤسساتها.. فتاريخ الدولة السعودية المعاصرة بكل واقعه، وتراكم المعرفة التاريخية حوله؛ يؤكد نشأة الدولة بالتوافق بين الإمامين ابن سعود وابن عبد الوهاب.

إن نفي وهابية الدولة، يفترض نفي سعوديتها.. ولا نعتقد أننا بحاجة إلى نفي الوهابية اتقاء الشر؛ بل لتعزيز المعرفة بها، وتقويمها وإصلاحها بشجاعة إذا لزم الأمر.

نحن نحتاج أحد أمرين، إما التعايش مع الوهابية وتضبيطها، أو نفيها واستبدالها جملة وتفصيلًا .. والحركة الإصلاحية حركة محدودة بزمن محدود، أما أن تسيطر الحركة على مفاصل الرؤية للكون والحياة خمسمائة عام، فهذه فلسفة وليست حركة؛ وبالتالي مذهب فكري شرعي ولا غضاضة.

وأضاف: أرى أننا في موضوع الوهابية نعيش اليوم مرحلة.. بني أنف الناقة.. قبل أن ينتشلهم بيت الحطيئة من وحل الخزي والعار بين قبائل العرب والعجم.

(قال ابن رشيق: كان بنو أنف الناقة يفرقون من هذا الاسم؛ حتى إن الرجل منهم يُسأل: ممن هو؟ فيقول: من بني قريع، فيتجاوز جعفر أنف الناقة ابن قريع بن عوف بن مالك، ويسكت عن ذكره؛ فرارًا من هذا اللقب).

لقد كان.. أنف الناقة.. وصم سوء ومنقصة. تمامًا كما تسعى دوائر عالمية غربية تحديدًا، لتصمنا به جراء انتسابنا إلى الوهابية. ويجد هذا الوصم فينا من يخفي نسبه هذا.. فيتجرّد من تبعيته للوهابية، أو نشأته في كنفها، فيقفزها لينتسب للحنبلية أو نحوها، أو أنه يتأسلم دون اعتراف بمذهبية مهما كانت.

والحال .. هكذا.. أعتقد أننا في أمسّ الحاجة .. للحطيئة.. فمن يا ترى يكون حطيئتنا؟ وكيف يمكن للحطيئة المنتظر أن ينقذنا؟

(فبعد أن نقل أحد بني أنف الناقة الحطيئة من ضيافة زبريقان إلى ضيافته، وأحسن إليه وأكرمه، قال الحطيئة:

قوم هم الأنف والأذناب غيرهم.. ومن يساوي بأنف الناقة الذنبا..

فصاروا يتطاولون بهذا النسب، ويمدّون به أصواتهم في جهارة).

أقترح -وحال العرب هكذا- أن نركّز جهدنا في البحث عن الحطيئة.. فهو القادر وحده على جعل الوهابية مثار فخر للجميع، والقادر أيضًا على رفع شأنها عند العرب والعجم؛ ومن ثمّ انتسابنا إليها، ونعتنا بها.

والحطيئة المقصود هنا.. في موضوعنا.... تسمية مجازية لسلسلة من مقترحات مستنيرة وعميقة يمكن من خلالها الرفع من شأن الوهابية بين مذاهب الناس ونحلهم.

فنتوقّف عن تكرار القول في الوهابية.

ونقترح ما يدعو إلى مراجعتها وتقويمها.

ونقترح ما يدعو إلى تلطيفها وتنقيتها.

ونقترح ما يدعو إلى تطويرها وعصرنتها.

ونقترح ما يدعو إلى حب الناس لها، وإيمانهم بها في منظومتها الجديدة.

ونقترح ما يدعو إلى الفخر بها والدفاع عنها.

هكذا نجد الحطيئة ونكرم وفادته ليقول في حقنا:

هم الوهابية والنهابية غيرهم

ومن يساوي بوهاب الجنان نهابًا

وقالت أ. كوثر الأربش: لا أعرف الكثير عن الشيخ محمد عبدالوهاب. ولم أقرأ إلا القليل له، عندما كنت أقوم ببحث عن التكفير في المذاهب الإسلامية. ولكن لو لم تكن هناك فضيلة له سوى مكافحة التوسل بالقبور؛ لكفاه..

إن علاقة الأحياء بالقبور، والاعتقاد أن مسيرة حياته وآخرته بإرادة صاحب القبر؛ ليست ممارسة عبادية وحسب؛ بل هو استهلاك لطاقة الدماغ البشري، الذي يصرف جهده من العمل الجاد إلى التعلق بالموتى!

إن المتوسلين بالقبور يعلمون تمامًا أنهم لا يعبدونها؛ بل ويتعاملون مع صاحب القبر بأنه حي؛ لأنه شهيد، وبأنه مجرد وسيط. ولكن -رغم هذا- يبقى التعلق بالقبور، والتبرك بالشبابيك والأبواب؛ أكثر مظاهر الرجعية شكلًا، هذا لو تجاهلنا كونه انحرافًا عقديًّا. ولا أميل حقيقة إلى جعل الآخرين يتعبّدون كما أرى وأختار؛ فلهم عقولهم وخيارهم الفردي.

إنني أؤمن بحرية العبادة، ولا أرى لي ولغيري حقًّا في هندسة معتقدات الآخر كما نرى. ولكن العبادة التي تحولّك إلى متقاعس ومنطوٍ على ذاتك؛ تطوي خط الزمن وتلهيك عن اللحظة الآنية.

بينما ذهب د. عبداللطيف العوين إلى أن الوسطية التي جاءت بها دعوة الشيخ منطلقها وسطية الدين الصحيح، وأثبتتها كل كتبه ورسائله، ومن لديه ما يخالف تلك أو يرى أنها غير وسطية، فعليه بالتوضيح مع الدليل.

ومن جانبه ذكر م. خالد العثمان أن هناك اتفاقًا على أن دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب دعوة تصحيحية قادها الشيخ في خضم شيوع الجهل، وانحسار الدين الإسلامي الصحيح. وبالتالي فإن غرض تلك الدعوة انقضى بتحقيق الغرض منها؛ وهي بالتالي دعوة أو حركة ذات صفة تاريخية أو وقتية، ارتبطت بالغرض الذي قامت من أجله، وليست مذهبًا جديدًا في الدين، خاصة وأنها تبنّت الدعوة إلى العودة لأصول الدين، والوسطية، والاعتدال. وتلبيس الدولة السعودية لباس الوهابية، وربطها بها على الدوام؛ ينفي عن الدعوة تلك الصبغة التاريخية، ويؤسس لفكرة المذهب أو الحركة المرتبطة بالدولة، وهوما وظّفه أعداء المملكة سلاحًا للهجوم عليها من بوابة الهجوم على الوهابية، خاصة في ظلّ حالة التشدد التي برزت في ممارسات رجال الدين والمؤسسة الدينية الرسمية وغير الرسمية في المملكة.

وتساءل أ.د. عبدالرحمن العناد: ما الفرق بين الدعوة (الوهابية) والدولة (السعودية)؟

كلها تسميات منسوبة لأشخاص أين المشكلة؟

التسمية ليست تهمة، والنقد ليس موجهًا إلى الاسم ..

والدفاع ينبغي ألا يستنزفه إنكار الاسم

وقال د. زياد الدريس: إن قضية الوهابية تعدّ من القضايا الشائكة، ليس هذا فقط بسبب حساسيتها الدينية / السياسية؛ ولكن أيضًا بسبب تعقيداتها، والتشابكات الاصطلاحية والمعرفية فيها؛ إذ يتداخل فيها الديني بالسياسي، والتاريخي بالمعاصر، والدعوي بالفقهي، والمحلي بالعالمي.

وتنطلق التعقيدات من البدء .. من العنوان: (كيف نصحّح النظرة العالمية للوهابية؟!) !!!! نريد الالتفات إلى النظرة (العالمية)، ونغفل أو نتغافل عن النظرة (المحلية) غير المتفق عليها أصلًا.

وإذا كان الأصوليون يقولون عند النقاش: " لا مشاحة في المصطلح"؛ فإن مشاحّة هذا النقاش ستكمن معظمها أو كلها في المصطلح! إذ تتداخل الوهابية بالحنبلية بالسلفية .. بالإسلام/ الدين الأصلي.

وما لا نصرِّح به أن دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب -رحمه الله- غير قابلة للنقد في "مسطرتنا الوطنية"؛ إذ اكتسبت هذه الدعوة قداستين لا واحدة فقط؛ القداسة الدينية، والحصانة السياسية.

وفي دفاعنا عن الوهابية، فنحن بين نارين متناقضتين: نار الدفاع، ونار الإنكار، فنحن نهاجم من يلصق التهم بالوهابية؛ لكننا ننكر أننا وهابية في الآن نفسه؛ مما يعني أننا أنفسنا لم نحدد بعد هويتنا الوصفية التي نرتضيها لأنفسنا.

وعندما ننطلق إلى المصطلح الرديف: " السلفية " ستغدو المسألة أكثر تعقيدًا وتورطًا في مزالق قد يصعب الخروج منها سالمًا (أستذكر هنا مقالتي: السلفية.. هل هذا وقتها؟ http://www.ziadaldrees.com/?p=779).

إننا كما نردد دومًا عن المتطرفين والإرهابيين بأنهم لا يمثلون الإسلام وإن تسمّوا به، فهل يمكن أن نقول بالمثل: إن كثيرًا من " السلفيين" لا يمثّلون الدعوة السلفية / الوهابية؛ وإن تسمّوا بها؟!

ويرى أ. علي بن علي أن هناك تساؤلات مهمة لابد من التطرق إليها بصدد نقاش قضية الوهابية، ومنها:

هل يجب التمسك بمصطلح الوهابية والدفاع عنه، ومحاولة تبرئته من ما اعتراه؟

هل الوهابية منهج يستوجب إعادة هيكلته، وربطه مع الدولة بوصفه عملًا مؤسساتيًّا؟

هل تمثّل الوهابية الوجه الآخر لما يُسمى الإسلام السياسي؟

ما دور المثقف السعودي في هذا الجانب؟

ما دور الدولة السعودية الحديثة في ظلّ طرح مسمى السعودية 2020؟

ومن جانبه قال: د. عبدالسلام الوايل: إن القضية موضع النقاش صيغت على شكل سؤال عن كيفية تصحيح النظرة العالمية للوهابية! ملاحظتي على صياغة القضية أنها تفترض إجماعًا على صوابية الجهود؛ لـ"تصحيح النظرة العالمية للوهابية". لا أظن أن هذا محل إجماع لا هنا ولا في أي دائرة فكرية تتسم بالتنوع والكثافة، كما في منتدانا هذا. وفيما يخصّ معارضتي الشخصية على الصياغة، فإني أرى أن أي جهد لـ"تصحيح" النظرة للوهابية جهد غير مثمر وسيذهب هباء. فمصطلح "الوهابية" ارتبط - للأسف- بظاهرة الإرهاب وخلط بها.

وإن كنا عازمين على مناقشة صريحة لهذا الملف الملتهب، فنحن محتاجون إلى التعامل مع الحقائق بكل شجاعة وصدق. وثمة حقيقة باتت مدركة وتقول: إن أيديولوجيا السلفية الجهادية هي النظام المعتقدي لظاهرة الإرهاب، منذ طور مقاتلة "العدو الداخلي (كما في مصر منذ مقتل وزير الأوقاف سنة 1977 والتسعينيات، والجزائر في التسعينيات)؛ حتى طوّر مقاتلة "العدو البعيد" (أي الطور العولمي للقاعدة، وطور بناء الدولة لداعش). وهذه الأيديولوجيا تتكئ على إرث ابن تيمية، ونواقض الإسلام العشرة للشيخ محمد بن عبدالوهاب، وخطاب سيد قطب، الذي أمدّ السلفية الجهادية بالصياغة المفاهيمية المطلوبة لتسويغ العنف الديني ضد الدولة والمجتمع و"الجاهليات الحديثة"، أي العالم كله.

إن الوهابية بوصفها تعاليم عقائدية، وليس بوصفها حركة تاريخية أو مدرسة مشيخية؛ صارت في لب هذه المنظومة الأيديولوجية. ولم نعد في عصر القاعدة، حيث تتوارى الوهابية في خطاب قادة القاعدة خلف غابة كثيفة من المفاهيم العقائدية. نحن في عصر دولة الجهادية السلفية. في عصر داعش. كُتب الشيخ محمد بن عبدالوهاب تُطبع وتقرر في مدارس داعش. والمفاصلة العقائدية الحادة، كما تتبدى في نواقض الإسلام العشرة على رأس ما يقرر. وهذه النواقض، هي ما يؤسّس لخطاب داعش، الذي نقرأه ونسمعه في بيانات داعش وانتحارييها. ولكونها، أي: الحركة التصحيحية للشيخ محمد بن عبدالوهاب، والمسماة بالوهابية، أساس وحدتنا، ودولتنا، وإنجازنا التاريخي الفريد؛ فإنه يتم توجيه أصابع الاتهام لنا في كل حادث إرهابي إسلامي؛ حتى لو لم يكن أحد من منفذيه، أو الآمرين بتنفيذه، أو مخططيه سعوديًّا أو له أي علاقة شخصية بالسعودية، كما توضّح الهجمة الصحافية الغربية على بلادنا بعد حادثتي باريس وكاليفورنيا. إن هذا الربط الشرطي البافلوفي بين الإرهاب والوهابية يجعل من أي جهد لتصحيح صورتها محض هباء. فالوقائع على الأرض وتأطيرها المفاهيمي أقوى من أي حملة إعلامية منتظرة.

وفي الإطار ذاته، ومن ناحية أخرى، قال د. حميد المزروع: لقد رُبطت الوهابية بالإرهاب الدولي مع بداية الثورة السورية 2011م، والهدف من ذلك تبرير القضاء على الثورة السورية، وتصفية جميع أطياف المعارضة تحت مظلة محاربة الإرهاب. وقد جنّدت القنوات الموالية لإيران هذا التوجه؛ لإضعاف دور السياسة الخارجية للمملكة من ناحية، وتخيير العالم بين القبول باستمرار حكم بشار الأسد، واستمرار توغل النفوذ الإيراني بالمنطقة، أو سيطرة داعش على العراق والشام.

ولا يعني هذا أنه ليس لدينا متطرفون مدفوعون عقائديًّا، كما هو الحال في حزب الله، وحزب الدعوة، وعصائب الحق التي يدرّب قادتها في إيران. إن التوظيف السياسي لمصطلح الوهابية؛ بوصفها حركة هدفها الإصلاح في تلك الفترة، يُستغل حاليًا وبشكل ممنهج لاستدراج المجاهدين؛ لمواصلة اتهام المملكة بالفكر الوهابي الإرهابي، وهذا ما تريده إيران.

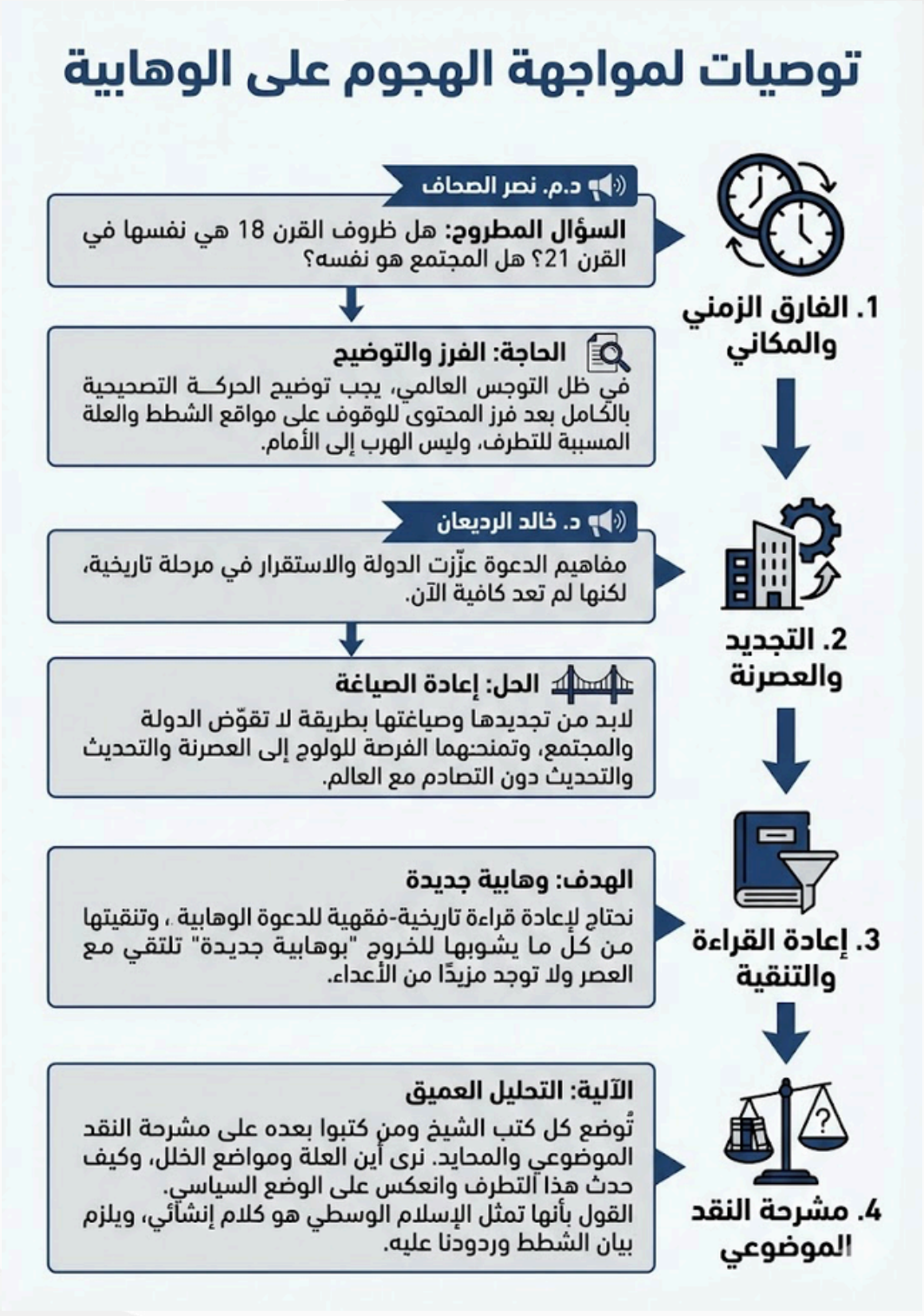
وتعتقد أ. فاطمة الشريف أننا أمام جهل عام لدى الغرب بالإسلام بشكل عام، والوهابية بوصفها دعوة إصلاح وتجديد بشكل خاص، ولا يخفى على أحد أن التقلبات والأحداث التي عرفها العالم مؤخرًا؛ قد مست بشكل أو بآخر ببعض المصالح الحيوية للغرب في جملة من مناطق العالم. وكانت وما تزال ردود الفعل التي تثيرها قد أنعشت المتخيل الغربي السلبي على الإسلام وضخّمته أكثر من أي وقت مضى.

وهذا المتخيل الغربي المشكل تجاه الإسلام تغذّى منذ خمسينيات القرن الماضي من كل قوة الإعلام وهيمنته, لاسيما بسبب تلاحق الأحداث العنيفة لحركات التحرر الوطني والحركات الاحتجاجية والتمردية السائدة في المجتمعات الإسلامية آنذاك.

لقد حصل خلط خطير في تشكيل المتخيل الغربي عن الإسلام, خصوصًا وأن كل المشاكل ذات الجوهر السياسي، أو الاقتصادي، أو الاجتماعي، أو الثقافي أُلحقت جميعها بالإسلام. وهكذا راح الخلط بين الإسلام بوصفه دينًا، والإسلام بوصفه إطارًا تاريخيًّا لبلورة ثقافة وحضارة معينة يتأبد ويتعقّد أو يتشعّب. ما زالت نظرة الغرب إلى الإسلام تعدّ أن الدين الإسلامي بشكل عام يرفض الحداثة وحقوق الإنسان، ويُشجّع العنف والإرهاب. وفي اعتقادي، فقد ساهم بعض المثقفين ورجال الدين أكثر من غيرهم في ترسيخ هذه النظرة, على الأقل لكونهم لم يعملوا فعلًا وفعليًّا على تفنيدها.

ومن جهته، أشار م. حسام بحيري إلى أن بداية إطلاق وصف الوهابية تاريخيًّا بدأ مع العثمانيين ومحمد علي، ومحاولتهم تكفير الشيخ محمد بن عبدالوهاب وحركته الدينية الإصلاحية، وإطلاق مسمى الخوارج عليهم. وحديثًا بدأ مع الحكومة الروسية أثناء حروب الشيشان قبل أحداث سبتمبر؛ لوصف المقاتلين العرب الذين كان قادتهم من السعودية، مثل سامر خطاب وغيره، وبدأ الإعلام الغربي باستخدام وصف الوهابية على المؤسسة الدينية السعودية بعد أحداث سبتمبر، وساعدها - للأسف- بعض من الأمريكان العرب المحسوبين على الإعلام الأمريكي، أمثال فؤاد عجمي والهندي فريد زكريا، الذين حاولوا أن يفصلوا بين الدين الإسلامي عامة والحركة الدينية السعودية التي يُحملونها المسؤولية عن انتشار التطرف الديني في العالم الإسلامي. واليوم أصبح واضحًا في ذهن القارئ الغربي عمن يتحدثون عندما يسمع كلمة الوهابية. وفي المفهوم الغربي عندما يكون لك عدو لابد أن تصنع له اسمًا، ووجهًا، واسم العدو الجديد هو الوهابية، ووجه هذا العدو، المملكة العربية السعودية؛ وهذا بالضبط سياسة الإعلام الغربي الحالية. ومنذ أحداث سبتمبر وهم دائمًا يبحثون عن الـ Saudi Connection في أي عملية إرهابية تحدث، سواء بالأفراد أو التمويل، كما رأينا في أحداث كاليفورنيا.

والحقيقية أنه لا توجد أي علاقة بما يحدث اليوم وحركة الشيخ محمد بن عبدالوهاب التي نشأت قبل 275 سنة، ومحاولة الغرب بربطها وتحميلها المسؤولية عن انتشار التطرف والإرهاب الذي يحصل بالعالم اليوم تحت مسمى الإسلام. والحقيقة المجردة أن الوضع الحالي دينيًّا وسياسيًّا مختلف تمامًا عن أوضاع الدولة السعودية الأولى. ودعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب خرجت بسبب ظروفها الزمنية والمكانية في الابتعاد عن الدين؛ بسبب العزلة، ومحاولة إرجاع الناس إلى الصراط المستقيم. وبتحالفه مع الإمام محمد بن سعود؛ أضفى أيضًا هدفًا سياسيًّا دينيًّا لتوحيد الجزيرة العربية تحت راية الإسلام وتطبيق شرع الله. والشيخ محمد بن عبد الوهاب كان تحت تصرّفه جيش الإخوان الذي لا يُستهان بقوته وإمكانياته في ذلك الوقت، وتمكّن من نشر دعوته في أنحاء الجزيرة العربية. وشيء مثل هذا لا يمكن أن يحصل اليوم في زماننا؛ ولذلك فإن الغرب لابد أن يدرك أن "الحركة الوهابية" مجرد تاريخ ليس له صلة بواقع اليوم، والاتصال الوحيد بين دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وحاضرنا اتصال أكاديمي، علمي، ديني، بحثي، ولا يوجد أي اتصال أيديولوجي بين ما يحصل اليوم في العالم الإسلامي من أعمال عنف وتطرف، وحركة الشيخ محمد بن عبدالوهاب التاريخية. إنهم يُدرسون لطلبتهم في الغرب عكس ذلك، ويدعون أن حركة الشيخ محمد بن عبدالوهاب الدينية أقامت دولة، ويخلطون الحابل بالنابل. وأكثر الأشخاص الذين يلتحقون بصفوف داعش اليوم يأتون من تونس، وهي دولة ذا نظام علماني، مدارسها تدرس اللغة والقيم الفرنسية، ولم تدرّس الدين لطلبتها منذ 50 سنة. ومشكلتنا في السعودية في الوقت الحاضر أن أشخاصًا كثيرين غير مؤهلين بسبب الجهل والانعزال البيئي تمكّنوا من السيطرة على الفكر الديني، وزرعوا الأفكار الخاطئة في عقول شباب متعطش لأن يفعل أي شيء لخدمة أمته، وتمكّنوا من سلب عقولهم واستخدامهم في اتجاهات مشبوهة. وغياب المعايير والشروط اللازمة التي يجب أن تكون متوفرة في الأشخاص الذين يمارسون النشاط الدعوي، وتغييب شبه كامل لعقوبات الغلو في الدين؛ ساهم مساهمة قوية في انتشار التطرف في مجتمعاتنا.


توصيات لمواجهة الهجوم على الوهابية
1. الفارق الزمني والمكاني
د.م. نصر الصحاف
السؤال المطروح: هل ظروف القرن 18 هي نفسها في القرن 21؟ هل المجتمع هو نفسه؟
الحاجة: الفرز والتوضيح
في ظل التوجس العالمي، يجب توضيح الحركة التصحيحية بالكامل بعد فرز المحتوى للوقوف على مواقع الشطط والعلة المسببة للتطرف، وليس الهرب إلى الأمام.
2. التجديد والعصرنة
د. خالد الرديعان
مفاهيم الدعوة عزّزت الدولة والاستقرار في مرحلة تاريخية، لكنها لم تعد كافية الآن.
الحل: إعادة الصياغة
لابد من تجديدها وصياغتها بطريقة لا تقوّض الدولة والمجتمع، وتمنحهما الفرصة للولوج إلى العصرنة والتحديث والتحديث دون التصادم مع العالم.
3. إعادة القراءة والتنقية
الهدف: وهابية جديدة
نحتاج لإعادة قراءة تاريخية-فقهية للدعوة الوهابية ، وتنقيتها من كل ما يشوبها للخروج "بوهابية جديدة" تلتقي مع العصر ولا توجد مزيدًا من الأعداء.
4. مشرحة النقد الموضوعي
الآلية: التحليل العميق
تُوضع كل كتب الشيخ ومن كتبوا بعده على مشرحة النقد الموضوعي والمحايد. نرى أين العلة ومواضع الخلل، وكيف حدث هذا التطرف وانعكس على الوضع السياسي.
القول بأنها تمثل الإسلام الوسطي هو كلام إنشائي، ويلزم بيان الشطط وردودنا عليه.

ويرى السفير أ. أسامة نقلي أن المشكلة ليست في تعاليم الشيخ محمد بن عبدالوهاب، المشكلة في متشددي اليوم من المشايخ الذين يحاولون إضفاء مرجعية لتشددهم بالتشبث بتعاليم الشيخ، التي تعدّ أكثر تسامحًا من فكرهم.

ويضاف إلى ذلك البعد السياسي للتشبث بالشيخ، والذي يكمن في نشوء كيان الدولة بالتحالف بين الشيخ والإمام، في محاولة إعطاء تشددهم شرعية سياسية.

والإصلاح يبدأ من الحاضر وليس الماضي..

وهذه النزعة السياسية للمشايخ عبّر عنها بوضوح عندما قال الشيخ عبدالله التركي أمام الملك عبدالله (نحن شركاء في الحكم)، وردّ عليه لاحقًا الأمير تركي الفيصل في مقالة مفادها (الحكم لآل سعود).

وعلّق د. محمد سالم الصبان بأن انتشار التشدد محليًّا وعالميًّا من منطلق مرجعيته الوهابية أساء -للأسف- لها وأصبح الجميع لا يفرّق بين الوهابية المتسامحة والمتشددين المنسوبين إليها.

وبدوره أوضح أ. أسامة نقلي أن دعوة الشيخ محمد عبدالوهاب قاربت الـ 300 عام، ولم نرَ التشدد إلا في الثلاثة عقود الماضية، وتحديدًا بعد الثورة الإيرانية في 1979، وبعد حادثة احتلال الحرم، التي غيّرت مجرى الحياة الاجتماعية في البلاد بكافة تفاصيلها، وانسحبت على مناهج التعليم؛ ومن ثم فإننا لسنا في حاجة إلى تطوير التعليم؛ بل إعادته إلى ما كان عليه قبل حادثة احتلال الحرم. التعليم الذي أخرج لنا عباقرة اليوم في العلم، والسياسة، والأدب.

وأوضح أ. يحيي الأمير أن دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ليست دعوة معرفية؛ بل هي دعوة إحيائية .. أي أنها لم تبتكر معرفة دينية خاصة بها؛ وإنما اشتغلت بإحياء علوم ومعارف دينية عرفها التاريخ الإسلامي منذ القرن الثامن الهجري .. وبالتالي فالعداء معها عداء مع تلك المنظومة المعرفية التاريخية.

ودور الشيخ كان محوريًّا وحاسمًا في لحظة تاريخية كانت فيها كل المنطقة تفتقر لأي تحرك ذي بُعد ديني فقهي يتحرّك على مستويين، وهما: العقائد والسلوك.

وقد تركّز الجانب الأكبر من الحركة الإحيائية في خطاب الشيخ على الجانب العقائدي، وهو ما أكسبها نجاحًا وخصومًا في الوقت ذاته. وبالنسبة للمرحلة الزمنية للشيخ كان خطابه مؤثرًا، وحيويًّا، وقادرًا على التأثير والاكتساح.

وهنا يأتي التحدي المعرفي اللاحق، فكل المدارس والهيئات التي ظهرت فيما بعد انشغلت بإعادة تدوير ونشر ما قاله الشيخ أكثر من انشغالها بتطويره، وقراءته، وبحثه .. وهوما ساهم في تصنيم الدعوة وخطابها، عوضًا عن أن تستمر بوصفها حركة دينية معرفية تتطور على يد طلابه ومريديه.

إن الدعوة الوهابية قيمة عليا مؤثرة وحيوية، خاصة حين تتم قراءتها في سياقها التاريخي .. إنها لا تختلف عن حركات الإصلاح الديني الأولى التي أثرت في كثير من بلدان العالم.

وقال أ. خالد الوابل: الوهابية في التعريف الغربي المعاصر: حركة إسلامية متطرفة، ما يصدر منك من أخبار دائمًا ما تعزّز هذه النظرة عنك لدى الآخر، وخاصة أحكام القضاء ويُعزّزها أكثر تراجعك عند هجومهم عليك. ما تحتاجه أن تُحسّن صورتك في الداخل؛ لتنعكس على الخارج.

ويعتقد م. خالد العثمان جازمًا أن العلاج الأمثل لهجوم أعداء المملكة عليها، التأكيد على إسلامية الدولة؛ وليس وهابيتها، إذًا لا وهابية مستدامة بعد تحقيق ما قامت من أجله في ذلك الحين. وفي هذا السياق، من الضروري إبراز الوجه الناصع للدعوة الوهابية، والدور المهم الذي قامت به في محاربة الجهل، وتصحيح الممارسات الدينية، وتبني منهج الوسطية والاعتدال؛ ولكن في الإطار التاريخي فقط ، وليس في إطار الدفاع عن الدولة، أو تأكيد وهابية الدولة. ومن الضروري أيضًا إبراز حالة اللبس بين وهابية الشيخ محمد بن عبدالوهاب والوهابية الإباضية التي سبقتها، ولعل هذه المعلومة غائبة عن أذهان الكثيرين ممن يرفعون راية العداء للدولة السعودية، ويتسقطون لها العثرات؛ حتى لولم تكن أصلًا ذات ارتباط بتاريخ نشأة الدولة ومسيرتها.

ومن ناحيته تساءل أ. سعيد الزهراني، انطلاقًا من أنه: لا شر محض، ولا خير محض.. لماذا لا توجد إشارة عابرة لبعض سلبيات حركة الشيخ الجليل - يرحمه الله- ويجزل أجره.. أو بعض تلاميذه ومريديه؟

بالتأكيد، يُحسب للدعوة الإصلاحية مكتسبات شاهقة حضاريًّا، وفكريًّا، ومحليًّا، وخارجيًّا.. ومنها ما ذهب إليه المفكر محمد عابد الجابري من أن الوهابية التي نتجت عن تحالف الإمام محمد بن عبدالوهاب مع بن سعود قبل الثورة الفرنسية؛ كانت تضاهي الثورة الفرنسية في أوربا بالنسبة للوطن العربي..

لكن هذا لا يلغي أن هناك أنساقًا مضادة ظهرت من رحم هذه الحركة، مخالفة لأساسها السليم القائم على ركيزة ما صحّ من حديث وقبله القرآن الكريم.

الاستسلام الرخو وتقبّل الهجوم المغرض على هذه الدعوة الجليلة؛ تسليم جبان وانسلاخ معيب يجعلنا نبدو مسخًا بلا ملامح ولا وجه.. والدفاع المطلق عن جلّ متعلقات الدعوة يُسيء إليها قبل أن يخدمها.. مما يُحتّم علينا أن نتمثّل فضيلة نقد الذات .. نعتز بالإيجابي، ونقرُّ بالسلبي، ونتجه إلى علاجه أو علاج آثاره.. وأولى خطوات الاعتزاز والعلاج معًا تكمن في الإيمان بأن التحوّل سمة الحياة الأولى.. والثابت هو جوهر الأشياء والقضايا، ومنها الدين.. أما الطرائق والمناهج فمتحولة من حقبة إلى أخرى.. وهذا هو جوهر ديننا العظيم، الذي هو أجلّ من تقييده بشخوص، أو حركات، أو مناهج، عدا رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم.

والآخر الأصولي لن يرضى عنا مثلما لن يرضى مكوّننا الأصولي عنه.. والوقت الذي سنصرفه في إثبات فضائلية الوهابية، أو الدعوة الإصلاحية، أو حركة الشيخ يرحمه الله.. من الأفضل أن نصرفه في إعادة صياغة خطاب ديني يستلهم روح الدين الإسلامي العظيم، القائمة على العدل، والسلام، والخير للعالمين.. وتنقيته من مظاهر التشدد، والغُلو، والوصاية، والتسلط.

وحينها سنكون قد أنصفنا الوهابية أو ما شئتم من اسم ووسم.. من حيث نحن نتجه في الأصل إلى المنبع الذي تستقبله هي بذاتها.

وأكّدت د. سامية العمودي أيضًا على ضرورة إعادة صياغة الخطاب الديني وتنقيحه، بوصف أن هذا المفتاح الحقيقي، بدلًا من إضاعة الوقت في البحث، ونحن نعلم أن عامل الزمن ليس في صالحنا.

ويعتقد أ. خالد الحارثي أن القراءة الحديثة للحركة الوهابية تتطلّب أن ننظر إلى العالم في ذلك اليوم، ونستخدم إطارًا أوسع من الإطار الديني وصوابية الحركة أو خطأ المجتمع.

إن التوسّع في القراءة السياسية والاجتماعية الحديثة من شأنه توضيح أنها ليست فقهًا جديدًا، ولا إسلامًا مجددًا؛ بل التفريق بين فكرها السياسي وفكرها الفقهي السلفي الحنبلي.

والوعي بالحاضر والمنجز المتواضع في استقلال المنطقة العربية يضعنا في تصور إيجابي عن آفاق الدور الرسالي للمملكة من وحي حاضرها، وتحديات مستقبلها من آمال مواطنيها وطموحاتهم.

ويعتقد م. حسام بحيري أن أي محاولة لتحسين صورة الدعوة "الوهابية" في نظر الغرب ستبوء بالفشل؛ لعدة أسباب، أولها أن الإعلام الغربي من صنع هذه الكذبة، ومحاولة إلصاق مسببات التطرف والعنف للسعودية على وجه التحديد، ولا يمكن أن يساهموا في نشر تحسين الصورة؛ لأنها معاكسة لسياستهم، وسنثبت كذبهم أمام جمهورهم الغربي.

السعودية هي الدولة العربية الوحيدة التي تنظر وتتعامل مع الغرب بمنطق الند بالند، ولم تطوّع سياستها ومنهجها لهم. وهي الدولة العربية الوحيدة التي لديها القدرة على اتخاذ قرار سيادي فيما يخصّ إقليمها، وتستطيع أن تؤثر تأثيرًا مباشرًا في سياساتهم الاقتصادية، ولها تأثير قوي في العالم الإسلامي، فهي في نظرهم رأس الأفعى إذا طوّعتها وتغلبت عليها؛ طوّعت العالم الإسلامي برمته.

ولكن السبب الأهم حقيقة أن الإسلام اليوم أصبح العدو رقم واحد للغرب. وهناك لغة إعلامية جديده بدأت بالتبلور، وهي أن الدين الإسلامي خطر على قيمهم الغربية، ويدعو إلى العنف؛ لأنه يتعارض معارضة شديدة مع نظامهم الديموقراطي الغربي، ولا يمكن تطويع المسلمين بتقبل القوانين والأنظمة الغربية والعيش معها بسلام؛ بسبب ولائهم المطلق للشريعة الإسلامية التي يرونها مستباحة لدمائهم، ويستشهدون بذلك عن انتشار الجهل، والفقر، والعنف، والفشل الاقتصادي في السواد الأعظم من الدول الإسلامية جمعاء؛ ولذلك فمحاولـــة الـ Integration of Muslims into our society محاولة فاشلة. ونستطيع أن نستدل بذلك في لغة السياسيين الغربيين الجديدة والمعادية للإسلام، والانتخابات الأمريكية والفرنسية الحالية، والمظاهرات المناهضة ضد أسلمة أوروبا في ألمانيا شاهد على ذلك. ليس هناك صدف, هي سياسة ولغة جديدة، فالسياسيون الغربيون دائمًا يتبعون منظّريهم وخطوط سياسات أحزابهم العامة، ولا يحيدون عنها؛ ولذلك فأي محاولة أو أي سياسة لتحسين صورة الإسلام أو "الوهابية"؛ هي سياسة دفاعية لا نحتاجها؛ لأنها ستموت في مهدها. إننا نحتاج اليوم إلى سياسة إعلامية هجومية على الغرب؛ لتذكيره بالكوارث التي حلّ بها في عالمنا، والمطالبة بتحمّله جميع نتائج سياساته الكارثية وتحالفاته المعادية للأمة العربية والإسلامية في أراضيها، التي أصبحت المسبب الرئيس في انتشار العنف والتطرف في المنطقة؛ لأنه من الصعب القبول بها أو التغاضي عنها. ولابد للغرب أن يغيّر سياساته في المنطقة العربية، ويتعامل مع الإسلام بوصفه جزءًا من فسيفساء مجتمعهم المتجانس، ويتقبله بوصفه دينًا محليًّا، وليس دينًا غريبًا دخيلًا عليهم.

ويرى د. عبدالسلام الوايل فيما يتعلق بالحلول الملائمة للتعامل مع قضية الوهابية، أننا بوصفنا دولة وطنية تنتمي إلى النظام العالمي المعاصر؛ لسنا بدعًا في تأسسنا على أساس دعوة دينية كانت ثورة دينية إبان ظهورها. ومن هذا المنظور، نحن مدينون للوهابية.

والوهابية هي من أعطانا هذا الوطن. وزيادة على ذلك، فهي من أوقد حركات الإصلاح الديني في ليل عصور الظلام العثمانية في العالم العربي، ويعدّها بعضهم أساس النهضة العربية الحديثة، وليس غزو نابليون لمصر، الذي تم بعد انبثاق حركة الشيخ بـ52 عامًا. ولننظر إلى الوهابية نظرة "تاريخانية"؛ لنخرجها من ضيق الإطار العقائدي الملزم دينيًّا، والمسبب لكثير من المشاكل مع العالم، إلى سعة الإنجاز التاريخي. لنتعامل معها كما يتعامل الأمريكان اليوم مع إرث الرجل الأبيض، والآباء المؤسسين أو الفرنسيين مع ثورتهم التي دوّخوا رؤوس الخلق بالمفاخرة بها. لنعدّ الوهابية إنجازًا تاريخيًّا لا نظرة عقائدية. وإن وصلنا إلى هذه النقطة. نقطة تخليص الحركة التاريخية من مفاصلتها العقائدية الحادة، التي كانت ظرفًا تاريخيًّا تجاوزناه، ولم يبق من يؤمن به إلا أيديولوجيا السلفية الجهادية؛ فإننا قادرون على تحسين صورتها عالميًّا.

نحن إذًا أمام تحدٍّ. تحدي خدمة الحركة التي أنجزت وحدة عربية فريدة؛ بجعلها متسقة مع حركة التاريخ البشري. ولكي نقوم بذلك، علينا أن نتخلّص من استراتيجية المجادلة مع الآخر بأن الحركة مُفترى عليها؛ فالعالم لن يقبل ادعاءات مثل هذه. علينا أن نقول: إننا -مثلنا مثل أمم عظيمة أخرى- كنا محتاجين إلى منظور ثوري لجمع هذا الشتات في الجزيرة العربية، الذي لم يعرف حكمًا مركزيًّا جامعًا منذ عهد المتوكل العباسي قبل اثني عشر قرنًا. وأن هذا المنظور أنجز ما لم تنجزه حركة عربية أو إسلامية أخرى. وأنه كان لازمًا لإنجاز هذا الانتقال التاريخي إنتاج خطاب عقائدي مفاصل، وقد انتهت وظائفية هذا الخطاب. وأننا باسم الامتنان للحركة التاريخية التي وحّدتنا، سنعمل على تخليص خطابها من المفاصلات العقائدية المحرّضة على الكراهية والعنف، مبقين على روحها التوحيدية العبقرية.

وعبر واقعية كهذه، يمكن تحسين صورة الوهابية على مدى المكان والزمان، أي عبر جغرافيا العالم وأزمانه القادمة.

وعلّقت أ. فاطمة الشريف على الطرح الأخير بقولها: على الرغم من تعدد القراءات والمقاربات المنهجية في التعامل مع التراث الديني الإسلامي؛ فإن كل قراءة منهجية تبقى نسبية، تحمل في طياتها نقاطًا إيجابية من ناحية، ونقاطًا سلبية من ناحية أخرى، وتحوي أيضًا في منظومتها الفكرية، والنظرية، والتطبيقية أبعادًا إيديولوجية مختلفة، ومقاصد مرجعية متباينة.

وبعد ذلك، تصل هذه القراءات أو المنهجيات إلى حقائق احتمالية ونتائج نسبية، تختلف من متلقٍ إلى آخر، سواء كانت هذه القراءة التراثية تقليدية أم استشرافية، التاريخانية، والسيمائية أو التفكيكية، والتأويلية، والبنيوية .. يبقى التطبيق الحي لتلك القراءة والتعامل مع الإرث الديني؛ هو من يحدد نجاح الطريقة المختارة أو فشلها في التعامل مع الموروث.

وذكر أ. عبدالله الضويحي أننا أمة على الفطرة؛ لذلك من السهل التأثير فينا من خلال الدين وتحت ستاره، خاصة أن كثيرًا منا ثقافته في هذا الجانب سماعية وضعيفة؛ لهذا يتم استثمار ذلك في محاولة زعزعة المملكة بوصفها كيانًا قوته في تمسّكه بالإسلام عقيدة ودستور حياة مكّنته من قيادة العالم الإسلامي، بعد أن منّ الله عليه باحتضان قِبلة المسلمين، وخدمة الحرمين الشريفين. إن ما يحدث من استهداف للدين الإسلامي، وتشويه لمصادره ورموزه؛ هو في حقيقته استهداف للمملكة بوصفها رمزًا له. وبوصفها دولة، ربما كانت الوحيدة بين دول العالم الثالث التي تعيش استقرارًا سياسيًّا واقتصاديًّا قرابة قرن أعطاها مكانة وقيمة على خارطة العالم.

وكل ما سبق وغيره مما يصعب حصره، يوضّح لماذا يتطلّب التركيز على المضمون، وتصحيح المفاهيم وتنقيتها من الشوائب أكثر من الاهتمام بالمسمى، ولنبدأ من الداخل "إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم"؛ إذًا لا فائدة من التوجه إلى الخارج لتصحيح نظرته ونحن نعاني من داخل غير مقتنع. والتغيير الذي أعنيه ليس فيمن يتبنى هذا المنهج، فهؤلاء يصعب تغييرهم؛ ولكن في أتباعهم، وضمان عدم ظهور أتباع جدد يتبنون الفكر ذاته.

الإعلام ركيزة من ركائز الحروب الاستباقية، ويقول جوبلز وزير إعلام هتلر: "الحرب تُحسم إعلاميًّا قبل أن تُحسم ميدانيًّا".

ونحن في حرب أو معركة مع أعداء الإسلام وأعداء المملكة، وإن لم تكن عسكرية، وهنا أتساءل:

هل يوجد قناة إسلامية تُعبّر عن الإسلام الحقيقي وتُقدّمه في صورته الصحيحة، بما في ذلك الوهابية بوصفها مفهومًا!؟

لماذا لا توجد وبعدة لغات!؟

أين رؤوس الأموال الإسلامية!؟

ماذا عملت رابطة العالم الإسلامي!؟ ومنظمة التعاون الإسلامي!؟ وغيرها من الهيئات..

وماذا عن مؤتمرات الحوار التي لا يعلم عنها إلا نحن وإعلامنا، وتنتهي ملفاتها إلى الأدراج.

نحتاج إلى عمل إعلامي ضخم يتوجه للشعوب؛ لأنها هي التي تصنع القرار، كما يتوجّه إلى الإعلام المضاد؛ لأنه هو الذي يؤثر في القرار.

وعلى مستوى الداخل إلى جانب الإعلام، هناك ما لا يقل أهمية في نظري.

لماذا تُخلّ مناهجنا ومقرراتنا عن صناعة رأي إسلامي وسطي صحيح بعيدًا عن أحكام الفقه، والتوحيد، والتفسير!؟

لماذا لا يكون لدينا مقرر "الثقافة الإسلامية" أو أي مسمى في التعليم العام يختصّ بتصحيح العقيدة، والتركيز على الوسطية ودعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب: أبعادها، ودلالاتها، ومنهجها!؟

ما دور خطباء الجمعة في ذلك!؟

وقال د. مساعد المحيا: هل نعتقد على المستوى الرسمي، والنخبوي، والشعبي بأن الدعوة الإصلاحية منذ الشيخ محمد بن عبدالوهاب-رحمه الله- ثم تلاميذه وأئمة الدعوة بعده هل نعتقد بأن كل تراثها المعرفي صحيح ؟

إن قبول مناقشة موضوع بعنوان: (كيف نصحّح النظرة العالمية للوهابية؟) يعني بالضرورة الإيمان بوجود أخطاء تاريخية وعلمية، فضلًا عما يضخّمه أعداؤها ويضيفونه من عند أنفسهم.

ولأن من المهم أن تتسع صدورنا لكل من ينتقد جوانب مما اشتمل عليه تراثها؛ إذ ذلك السبيل الأول في تصحيح الصورة الذهنية.. فاذا كانت الصورة سلبية لدى الآخرين أو بعضها؛ فإن الاهتمام بأصل الصورة أهم وأوجب، مع الأخذ بالحسبان أن كل ما يقوله خصوم الدعوة وأعداؤها يمتلئ بالمغالطات، والافتراء، والرغبة في التشويه والتشويش.



في حين قال د. فايز الشهري: كل الأمم والشعوب تحتفي برموزها، ودعاتها، ومصلحيّها، وتناقش تاريخهم ودورهم؛ إلا نحن حين نجح الخصوم الأقارب قبل الأباعد في جعلنا في موقف النفي والدفاع.

والسؤال لا ينبغي أن يكون: هل نحن وهابيون أم غير وهابيين؟ بل كيف تسللت إلينا روح الانهزام، لننبذ رمزًا وطنيًّا له اجتهاده، وقدّم في مرحلة من التاريخ مشروعًا أسهم في بناء فكر دولة في مرحلة؟

ليست شجاعة فينا حينما نتراجع للخلف مسافة، ثم نرجم كلما صاح خصم رموزنا..

رموزنا ليس لها تقديس، ولا يُقام عليها حلقات ذكر، ولا نُقدّم النذور أمام أضرحتها، ولا نحتفل بميلادها ويوم وفاتها.

أقلوا اللوم أوسدوا المكان الذي سدوا.

وعلق د. مساعد المحيا بأنه إذا كانت كل الشعوب تناقش تاريخ مصلحيها ورموزها .. وإذا كان رموزنا ليس لهم تقديس؛ فإن أبسط معاني ذلك ألا ننكفئ على أنفسنا، ونعتقد بأن خطأهم صواب.

حين نتحدّث عن بعض الأخطاء، فنحن كمن يحرص على أن يكون الثوب الأبيض خاليًا من أي دنس.

واتفق د. خالد الرديعان مع ما ذهب إليه د. مساعد، وأضاف: من ينتقد أطروحات الشيخ محمد بن عبدالوهاب، كأنه بنظر بعضنا ينتقد الإسلام... أين نحن من مقولة: كُل يؤخذ منه ويرد إلا صاحب هذا القبر؟

وأوضح عقيد ركن. إبراهيم آل مرعي مجموعة من الملاحظات المهمة في هذا الإطار:

أولًا: مهمة الشيخ محمد بن عبدالوهاب تاريخية، وانتهت بالتصحيح، وإذا كانت يجب أن تُدرس فتُدرّس في كتب التاريخ، وليس في كتب الثقافة الإسلامية، خصوصًا أنها حركة تصحيحية دينية ارتبطت سياسيًّا بظروف المرحلة التي ظهرت فيها.

ثانيًا: ما يجب أن يدرس هو منهج محمد بن عبدالله - صلى الله عليه وسلم- وليس محمد بن عبدالوهاب، وكأن الرسالة أنزلت عليه.

ثالثًا: الاستمرار في الارتباط بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب يُسئ إليه وللإسلام، وكأنه نسخ هذا الدين وأتى بدين جديد، وهو منه براء، صحّح وانتهت مهمته، ونحن الآن وسابقاً على القرآن وسنة نبينا.

رابعًا: لا أستبعد مع الاحترام والتقدير لكافة المشايخ والعلماء، أن نسمع يومًا بالدعوة الألبانية، أو العريفية، أو العودية، أو القرنية، إن استمرينا بالتمسك بهذه الدعوة التي أصبحت كأنها بديلة عن منهج نبينا.

خامسًا: أُستخدم مصطلح الوهابية ورُوّج لدى دوائر صنع القرار الغربي والأمريكي، وبين الشعوب الإسلامية؛ للتأثير في مكانة المملكة العربية السعودية في العالم الإسلامي، وكأن لها مذهبًا مختلفًا عن سنة نبينا، والاستمرار في الاستشهاد به في أدبياتنا يضرّ ولا ينفع، ويجب أن نعود إلى (قال الله، وقال رسوله)، وليس قال الشيخ.

وأضاف اللواء د. سعد الشهراني: أتفق مع الرأي بأن دعوة الشيخ إصلاحية وليست حركة؛ بل أزيد وأقول: إنها ليست تجديدية وليست وهابية.. هي دعوة للعودة إلى نقاء الإسلام والتوحيد وتصحيح العقيدة، وتأسست بناء عليها دولة العقيدة الصحيحة في مهبط الوحي: تصوروا أي مسار آخر غير ما نعيشه من الناحية العقدية!

قيّض الله لنا، ولهذه البلاد، وللإسلام والمسلمين هذا الشيخ ليعيد الناس إلى روح الإسلام الحقيقية؛ ومع ذلك فنحن كلنا بشر نصيب ونخطئ، وهكذا محمد بن عبد الوهاب، ومحمد بن سعود، ومن سار على أثرهما في القرون الثلاثة الأخيرة.

وفي هذه اللحظة التاريخية هناك من تشدد وغلا، واستغل الدين؛ بل هناك من يتصارع على المناصب، والمراكز، والوظائف الشرعية وكأنها غنيمة دنيوية، وهناك من يحتكر الإسلام، والفتوى، والإمامة، والخطابة وغيرها، وهناك من لا يعيش عصره، وهناك من لا يعمل عقله في هذا العصر المتأزم.

بيننا من يغلو؛ بل من يتغوّل باسم الدين، ويستدعي الدين، ويستعدي بالدين وينسى؛ بل يتناسى أن الدين المعاملة، فانتشر الفساد أكثر ما انتشر في المؤسسات التي لها طابع ووظيفة شرعية؛ مما أساء إلى الدين، والوطن، والمؤسسات الشرعية نفسها.

نحتاج إلى (حركة تصحيحية)! وقد لا تتأتى إلا بنقد صريح، سيُواجه بمقاومة للتغيير شديدة جدًّا، خصوصًا من المنتفعين والمحتكرين للدين، والمؤسسات الدينية، و(السلطة الدينية).. وربما أن مفهوم المراجعات كلمة أدق وأخف وقعًا من النقد. ما نحتاجه مراجعة التراث الذي تراكم، والممارسات، والمؤسسات، وطرق توظيف الدين في حياتنا اليومية، وإعادة أولئك الأوصياء علينا وعلى الدين إلى موقعهم المناسب: مواطنون محترمون مثلنا جميعًا .. ليسوا فوق (النقد)، ولا فوق الآخرين.

الذي لا أخشاه (كما قد يخشى بعضهم من المراجعات)، أن يؤتى الإسلام من خلال هذه المراجعات؛ لأننا - والحمد لله- غيورون على ديننا بفضل من الله، ثم بفضل دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله.

نحتاج إلى ما يلي:

1- قراءة التراث الفقهي للدعوة.
2- قراءة تاريخنا منذ بدء الدعوة حتى هذه اللحظة.
3- قراءة ما كُتب عنا وعن الدعوة بجميع اللغات.
4- استخلاص الدروس والعبر.
5- عرض كل ذلك على مذاهب أهل السنة والجماعة.
6- الأخذ بأوسع الآراء، وأكثرها وسطية واعتدالًا ومناسبة للعصر وتحدياته.
7- وضع خارطة طريق تحفظ لنا ديننا، وتسمح لنا بأن نعيش عصرنا، ونُسهم في تقدّم البشرية.

مداخلة ختامية:

في مداخلة ختامية علّق د. منصور المطيري على مجمل ما طُرح بخصوص قضية الوهابية بالإشارة إلى النقاط التالية:

- أتفق تمامًا مع الرأي القائل بعدم استخدام مصطلح الوهابية.. وأنه مصطلح نبذ ووصم يقصد به التشويه، وإعطاء الانطباع أن الوهابية مذهب مبتدع ومنحرف.. وقد تحقّق نجاح كبير في هذا الصدد، اتضح بشكل كبير في منتدانا هذا؛ حيث يتحدث بعضهم عنها وكأنه يتحدّث عن مذهب مستحدث في الإسلام؛ على الرغم من النصوص التي أوردناها، وأوردها الفاضلان د. العوين، ود. الدهيش.. وفحواها أن ما يخالف الكتاب والسنة، فالدعوة منه براء .. وأن ما دعا إليه الشيخ محمد بن عبدالوهاب هوما دعا إليه العلماء السابقون .. ومع ذلك يجب التنبه والتنبيه إلى أن الحكم على أي حركة يكون من خلال الحكم على أصولها ومبادئها، وليس من خلال الحكم على اجتهادات بعض أفرادها، التي قد تكون تعبيرًا عن وجهة نظر شخصية..

ويعني هذا أنني أتفق مع ما تم طرحه من استعمال اسم الإسلام، وعدم الولوج في دوائر ضيقة عند الحديث عن هويتنا .. وأما منهجية الفهم فهي منهجية أهل السنة والجماعة.

وأنبه هنا إلى أن بعض علماء الدعوة الإصلاحية القدماء، وبعض المؤرخين السعوديين المعاصرين استخدموا كلمة الوهابية في إشارة إلى هذه الحركة الإصلاحية .. لكن هذا الاستعمال لم يكن يقدّمها على أنها مذهب جديد؛ بل كان من باب النسبة إلى من قام بها، مثل ما نقول: (المالكية، أو الحنفية، أو الشافعية ..)، وذلك مثل كتاب الرويشد (الوهابية: حركة الفكر والدولة الإسلامية) .. وقبله ألّف الشيخ سليمان بن سحمان كتابًا دافع فيه عن الدعوة، ذكر في عنوانه هذا اللفظة..

كما أنبه إلى أن الذي صاغ عنوان الورقة: (كيف نصحّح النظرة العالمية للوهابية؟) هم الإخوة الكرام في منتدى أسبار، وقد ذكرت فيما كتبتُ في الورقة أنني لا أرتضي هذه التسمية؛ لسبب بسيط أنه لا يوجد مذهب فقهي ولا عقائدي اسمه الوهابية.. وما حدث دعوة إصلاحية تجديدية لشريعة الإسلام.

ذكر بعضهم أنه قد يكون هناك مبالغة من أنصار الدعوة الإصلاحية في وصف مظاهر الانحراف في تلك الفترة. ومع أن هذا رأي بعض المؤرخين؛ لكنني أرى عكس ذلك. وهناك شواهد كثيرة تدلّ على أن حجم الانحراف كان كبيرًا في مجالي البدع والجهل، وهذا شمل الحاضرة والبادية مع اختلاف النسبة، فالبادية أكثر انحرافًا وجهلًا. وقد ذكر ضابط عثماني كان مسؤولًا في نجد في مذكراته، أنك لا تجد من يقرأ ويكتب في البادية أبدًا، ولا تجد إلا أفرادًا معدودين على الأصابع في الحاضرة .. وتشهد بذلك الدراسة الجادة للأوضاع الدينية، والاجتماعية، والسياسية في ذلك الوقت.. ففي مدينة جدة مثلًا دع عنك نجدًا وما يحصل فيها، يذكر أحد المؤرخين أنه يوجد فيها (قبر طوله ستون ذراعًا يزعمون أنه قبر حواء أم البشر، له سدنة يجبون من زائريه كل عام مبالغ خيالية .. وعندهم معبد يُسمّى العلوى/العلوي يُبالغون في تعظيمه، فمن استجار بتربته أُجير، ومن لاذَ به من قاتل، أو سارق، أو غاصب؛ لم يمس بأذى، ولا يجرؤ أحد على إخراجه أو الوصول إليه..).

ذكر بعضهم أن دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ليست دعوة معرفية؛ وإنما هي دعوة إحيائية، والتحدي اللاحق كان في تطوير البُعد المعرفي .. وأنا أتفق في أنها دعوة إحيائية .. ولا أتفق مع القول بأنها ليست معرفية، أو أنها لم تتطور معرفيًّا.. لسبب واقعي وهو أن هذه الدعوة لا تتمثّل ولا تنحصر في الرسائل التي كتبها الشيخ محمد والعلماء من بعده؛ وإنما تكمن في الإحالات التي أحال عليها .. وهي المصادر المتمثلة في الكتاب والسنة، وفي منهجية السلف في الفهم والنظر، وما كتبه العلماء القدماء والمحدثون من جميع مدارس الفقه والعقائد السنية؛ ولذلك نجد كل علماء الحركة الإسلامية المعاصرة تتبنى السلفية على اختلاف في مدى التزامها، فمثلًا تجد مثل القرضاوي وراشد الغنوشي يدافعان عن المنهج السلفي الذي تبنته ودعت إليه الدعوة الإصلاحية؛ بل إنك تجد بعض الفلاسفة الإسلاميين المعاصرين، كطه عبدالرحمن وأبو يعرب المرزوقي يتكآن في كثير من أطروحاتهما على ابن تيمية؛ تأثرًا بالدعوة الإصلاحية في نجد.. وأنا لا أزعم التطابق في وجهات النظر؛ لكن أقول: إن الكثير من الأطروحات في الجانب المعرفي التي طرحتها الحركة الإسلامية تأثرت وأثرت في الدعوة الإصلاحية في الجزيرة العربية؛ يدلّ على ذلك شواهد كثيرة ك تبني المدرسة الإصلاحية في مصر لأطروحات الدعوة السلفية، مثل محمد رشيد رضا وغيره .. ولم يحصل محاولة الفصل بين الدعوة وهذه المدارس إلا خلال العقدين الماضيين؛ لأسباب سياسية.

- ومن ناحية أخرى، فإن الحركة الإصلاحية لم تتفلسف؛ أي لم تلجأ إلى الفلسفة .. والسبب أن الإسلام نفسه عالج قضايا الوجود والمعرفة بأفضل مما عالجته الفلسفة .. ولم تكن معالجته أبدًا نخبوية؛ بل كانت واضحة وميسرة لكل إنسان. وقد اكتفت الدعوة الإصلاحية بهذا .. واعتمدت المنهج القرآني في الردود والجدل مع ما يستجد من مذاهب .. وربما يكون هذا من عيوبها .. حيث إن الواقع العلمي المعاصر يفرض على المثقف والعالم المسلم معالجة القضايا المطروحة بالمنطق السائد؛ حتى يمكن تفنيدها إن كانت تستحق التفنيد.
- وتساءل بعضهم: هل هي حركة أو دعوة ؟ وفي رأيي، أن الحركة في المفهوم الاجتماعي لها عناصر، كالمشروع الذي ترفضه، والمشروع الذي تطرحه بديلًا، والأيديولوجيا التي تُشكّل رؤاها، وكالقيادات الفكرية والسياسية، وكالاستعداد لتحمل دفع الثمن أثناء تنفيذ المشروع، وغير ذلك. وفي نظري، أن الدعوة الإصلاحية بدأت حركة وانتهت دولة.. فهي نجحت في مشروعها؛ وأعتقد أنها من أنجح الحركات في التاريخ. وعلى هذا، فهي الآن ليست حركة؛ بل هي دولة. والحركة تنتهي بانتهاء مشروعها نجاحًا أو فشلًا .. أي أن دعوة الشيخ محمد كانت حركة في بداياتها، ثم نجحت في تكوين مشروعها؛ فأصبحت دولة.... والانتقادات التي يطلقها بعضهم ضد الدعوة إنما هي بوادر حركة جديدة لها مشروع تحاول تطبيقه على أرض الواقع، ومن حق الدولة والدعوة الاتجاه إلى تفنيد هذه الحركة الوليدة.
- ذكر بعضهم تشدّد الدعوة في بعض أطروحاتها الفقهية .. والحقيقة أن هذا أمر ملموس .. بالذات في الجانب الاجتماعي. ويتمثّل هذا تقريبًا في الاجتهادات التي تتوسّع في الأخذ بسد الذرائع. علمًا بأن هذا التوسع في هذا الاتجاه يُساهم فيه المشروع الليبرالي النخبوي، الذي يتجه في أطروحاته إلى القفز على الأحكام الشرعية الثابتة أصلًا بدون اجتهاد، وإلى التجني والقدح غير المبرر تجاه العلماء والدعاة؛ مما ولّد ردة فعل يدركها كل متابع .. نلاحظها على شكل استقطابات حادة للرأي العام.. ومع ذلك فأنا أرى أن هذا لا يبرر التوسع في الأخذ بهذا المصدر.
- وقد أشرت في الورقة إلى هذا الموضوع، حينما طالبت بضرورة التكوين العلمي الشامل للعالم والمثقف المسلم. العالم يحتاج بالإضافة إلى تكوينه العلمي الشرعي إلى ثقافة عصرية عميقة؛ حتى يستطيع أن يحكم بشكل سليم.

- وبالمناسبة - في نظري- أن المثقف السعودي والعربي بشكل عام يقع في درجة أقل بكثير من العالم الشرعي أو غيره .. المثقف يملك القدرة على إثارة القضايا وإخراجها إلى السطح فقط.. وأما الحكم على القضايا فهي من اختصاص المتخصص: شرعيًّا كان، أو قانونيًّا، أو سياسيًّا، أو نفسيًّا، أو غيره، كل في مجاله؛ ولذلك فإن المثقف السعودي يجب أن يتواضع ويعترف أنه يخوض أحيانًا في أشياء لا يعرفها .. وعليه أيضًا أن يكوّن نفسه بشكل سليم في تخصص معين، ويحصر نفسه في تخصصه حينما يريد أن يحكم .. وأما إثارة القضايا للنقاش فحق للجميع؛ بشرط أن يترك الحكم للمتخصص.
- أكثر التعليقات إثارة، ذلك التعليق الذي ربط الإرهاب بالدعوة " الوهابية" في المملكة، حين قال: (لنخرجها من ضيق الإطار العقائدي الملزم دينيًّا، والمتسبب لكثير من المشاكل مع العالم إلى سعة الإنجاز التاريخي)، مطالبًا بتجاوز الجانب العقائدي، والاكتفاء بالإنجاز التاريخي؛ حيث إن هذا ما تمليه التاريخانية، متحججًا بداعش والسلفية الجهادية التي تبنت العقيدة الوهابية بزعمه.
- وفي ردي على هذا الرأي أقول:
- 1- أن نواقض الإسلام التي ذكرها الشيخ محمد بن عبدالوهاب لم يخترعها من عنده؛ بل هوما قرره علماء الإسلام من قبله، بناءً على الأدلة الصحيحة الصريحة من الكتاب والسنة.. بل إن بعض علماء المسلمين ومذاهبهم توسعت في باب المكفرات بما لم يذكره الشيخ محمد، ولعل المذهب الحنفي أكثر هذه المذاهب تفصيلًا .. وأما الناقض الثامن فهو ناقض بصريح القرآن؛ ولكن انتقدت الصياغة التي صاغها الشيخ محمد فقط ، حيث لم يقيّده بقيد الدين (المظاهرة والموالاة في الدين) .. ومع ذلك؛ فإن الشروح التي شرحت هذا الناقض بيّنت المقصود، وأكثر من توسع في بيانه أحفاده.
- 2- أن الربط بين دعوة الإصلاحية في المملكة وحركات العنف التي تفجرت أول ما تفجرت في بلاد أخرى، حكمها علمانيون ظلمة، قساة، وطغاة؛ ربط لا يسنده أي دليل صحيح .. وهده الحركات تفجّرت في السجون تحت السياط والتعذيب، لم تتلمذ ولم تدرس على عالم واحد من علماء الدعوة، ولم يُعرف عنها في ذلك الوقت احتفاءً أو معرفة بأي من كتب الدعوة الإصلاحية .. وقد أثبت أحد الدارسين - وأظنه الدكتور البهنساوي- أن تلك الحركات لم تكن على صلة بأحد؛ حتى بكتب الخوارج السابقين .. وإنما كانت مشكلتها في الاعتماد على أنفسهم في فهم آيات الحكم بغير ما أنزل الله، وهم في هذا الوضع المُزري تحت السياط والتعذيب .. ولما خرجوا من السجون خرجوا ناقمين مُكفّرين، وتمثّل دورهم في استقطاب الشباب بشكل سري إلى صفوفهم.

- 3- لابد من فهم طبيعة العنف ...
- العنف بشكل عام سببه الخلاف حول قضية معينة، ولنقل مثلًا إلغاء نتائج الانتخابات في الجزائر في التسعينيات بدعم من فرنسا، التي فاز فيها الإسلاميون.. يتكوّن بعد ذلك عند بعضهم خيار الاتجاه إلى العنف بوصفه حلًا؛ فيتشكل ما يُسمّى بأيديولوجية العنف. وهي الجزم أن هذه المشكلة لا تُحلّ إلا بالعنف .. ثم يأتي تسويغ هذا الخيار ومبرراته . وقد يعتمد هذا التسويغ على أكثر الأدلة براءةً من العنف المقترح، كالقرآن، أو تراث العلماء المسلمين، أو حتى العلم الطبيعي أو غيره.. وهذا ما حصل مع كل الحركات المتطرفة في العالم الإسلامي، فهي تستدل بالقرآن، والسنة، وبكلام العلماء.. ولا بد لها حينذاك من العبث بالأدلة حتى تستقيم لهم .. وتأتي هنا الانتقائية في التسويغ.. والحقيقة أن الغرب والأمريكان الذين يتهمون الدعوة في المملكة بأنها تُشكّل أيديولوجية الإرهاب؛ يفهمون هذه الحقيقة. فخلال البحث عن السبب في الموقف العدائي من أمريكا في العالم الإسلامي، ذكر كثير من التقارير الأمريكية الرسمية أن البُعد الأيديولوجي في التطرف ليس السبب في هذا الموقف؛ وإنما هناك عوامل أخرى مثل الموقف الأمريكي من الصراع العربي الإسرائيلي عبر عقود من الزمن، ومثل السياسات القمعية والفاسدة لبعض الحكومات في المنطقة.
- تعليقي حول ما ذُكر حول الجهادية السلفية، وربطها بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، لمجرد أنهم يقررون في مناهجهم بعض كتب الشيخ محمد .. أقول مقتصرًا على بعض الجوانب: إن الذي يميّز الحركات والمذاهب نقاط اختلافها مع الآخرين، وليس الاتفاق في التسمية مبررًا للاتفاق في الحقيقة. والسلفية الجهادية تسمية صحفية لبعض الاتجاهات التكفيرية، تبنتها بعض هذ الاتجاهات .. وهي تعرف نفسها بوضوح بأنها: تلك الجماعات والأفراد الذين يُكفّرون الأنظمة الحاكمة في العالم الإسلامي كلها؛ بوصفها أنظمة ردة، وقد ذكر ذلك صراحة أبو مصعب السوري، الذي كتب كتابًا تجاوز ألف ومئتي صفحة، مؤرخًا، ومبررًا، ومحللًا لهذا الاتجاه .. والشاهد أن مُنّظري هذا الاتجاه يعترفون صراحة أن الشباب السعودي لم يكن يعرف التكفير بتأثير من علمائه .. وأنهم هم من أثروا عليه عمدًا خلال فترة الجهاد الأفغاني .. وأنقل هنا نصين يوثقان ما أقول، كنت ضمّنتها بعض ما كتبت في الموضوع.

- أولًا: يقول أبو محمد المقدسي، وهو المؤثر الأول على هؤلاء الشباب [ننقل هنا ألفاظه دون تغيير بما في ذلك الشعر العامي] (...ها هم أفواج الشباب يعودون مدربين على القتال، والسلاح، والمتفجرات... وقد استفادوا بعدما خرجوا من أسوار الجزيرة، واحتكوا واختلطوا بإخوانهم الدعاة القادمين من شتى أنحاء المعمورة.. فرجع أكثرهم إلى السعودية بغير الوجه الذي خرجوا به أول الأمر.. فها هو فكر "تكفير وقتال الحكومة، وكل من ناصرها، وعاونها، وتولاها " قد انتشر بين الشباب – العائد من أفغانستان، المتدرب على السلاح – انتشار النار في الهشيم .. وها هي أفواج الشباب ترجع محملة بعشرات الكتب التي تعري ..... وتفضحهم ... وها هم الشباب يرجعون وقد فقدوا الثقة بكل من يمدح هؤلاء.. أو يثني عليهم، أو يجادل عنهم، أو يقف بأبوابهم مهما طالت لحيته وكبر لقبه..... لقد خرج شباب الحجاز ونجد ومن حواليها يوم خرجوا متوجهين لنصرة الجهاد الأفغاني، يحلمون بالخلافة الضائعة والمجد التليد... خرجوا وأكثرهم يعتقد – بفضل تلبيس العلماء العملاء – أن في رقابهم بيعة لإمام (المستسلمين !!).. واليوم يعودون ... وقد تبصّروا (بحرامي!!) الحرمين، ويتربّصون اليوم الذي يقارعونه وجيشه وحكومته فيه .....وكم كان يثلج صدورنا سماع أولئك الشباب وهم ينشدون من فوق ربى جبال الهندكوش، وهم يرمون ببصرهم صوب نجد والحجاز وتهامة ويقولون...الطواغيت ولى حكمهم وأدبر .. راح وقت العمالة والله الشاهد) .
- هذه شهادة واحد من أكبر المؤثرين في اتجاه الغلو عند الشباب السعودي، يذكر فيها كيف تحوّل هؤلاء الشباب إلى ما يوافق اعتقاده، خصوصًا أنه ساهم مساهمة فعلية في إقناع بعض الشباب السعودي بفكره المتطرف؛ حيث ألّف كتابه الكواشف الجلية ردًّا على هؤلاء الشباب وغيرهم، الذين كانوا يناقشونه ولا يقبلون قوله، فهو يقــول عن ورقاتــه التي كتبـهــا:
- (...اضطرني إلى الإسراع في إعدادها وإخراجها ما بدر واشتهر عن كثير من المنتسبين إلى الدعوة والعلم؛ بل والجهاد، من الدفاع عن النظام السعودي ... وممانعة كثير منهم من الكلام فيه، والصد عن ذلك، والأخذ على يد الطاعنين عليه، بحجج ومزاعم جوفاء..) ويقول: (فكم جمعتني مجالس مع رؤوس لدعوات وجماعات خضنا فيها حول كل حكومة وطاغوت، فإذا ما تعرّض الحديث أو تطرق إلى هذه الدولة ...فتلك عندهم عقبة كؤود ... تحجم دونها خيولهم ومطاياهم، وتتردد وتضطرب حولها سيوفهم، ورماحهم، ونبالهم ...). ويقول أيضًا: (ورغم مشاركة كثير ممن ينتسبون للجهاد والمجاهدين في الدفاع عن ذلك النظام ... أو على الأقل منع الكلام والطعن فيه ... ورغم محاولات السعودية عزل شبابها عن بقية العرب في بيشاور؛ خوفًا من تأثرهم بما سموه بالآراء الشاذة – يقصدون تكفير طواغيتهم وجهادها – لدرجة أنهم وضعوا بيتًا خاصاً للسعوديين .... رغم هذا كله ها هم الشباب اليوم يرجعون إلى أرض الحرمين وهم يحملون هذا الفكر الذي يُرعب السعودية ويقلق مضاجعها).

- **ثانيًا: شهادة فيلسوف ما يُسمّى بالجهادية السلفية أبو مصعب السوري، حيث يقول:**
- ("إن... أسامة بن لادن قد بنى القاعدة على جهود كوادر من تنظيم الجهاد المصري أساسًا، مع بعض الذين ساهموا في التدريب من كوادر التيار الجهادي في مناطق أخرى. ولم يكن معظمهم أعضاء في القاعدة؛ وإنما على سبيل التعاون وتبادل المنافع . فقام هؤلاء الجهاديون - وكنت من بينهم لفترة – ببث أفكارهم الجهادية حول الولاء والبراء والحاكمية .. وغيرها من الأمور السياسية الشرعية، وفقه الواقع في تلك المعسكرات، حيث وصلت الأساليب لحدّ تدريب السعوديين على الرماية على صور الملك فهد وكبار الأمراء السعوديين..! فأثروا مع الوقت عبر كتبهم، ومحاضراتهم، وأساليبهم، ومناقشاتهم في قاعدة القاعدة الشبابية. ثم انتقل التأثير ذاته للشيخ أسامة مع الوقت، والذي كان قد حضر إلى أفغانستان وهو مثل عموم الشباب السعودي الذي جاء للجهاد آنذاك، يحمل منهج وبصمات فكر الصحوة الإسلامية في السعودية .... وأكتب هذا لعلمي بسبب قربي منه تلك الفترة ومناقشاته في ذلك مرات عديدة. وكان هو وعموم المجاهدين السعوديين يعتبرون أن الحكومة السعودية شرعية، وأن الملك فهد وآل سعود مسلمون، وأولياء أمور شرعيون ... ويُكنّون احترامًا شديدًا للعلماء الرسميين في هيئة كبار العلماء، ويلتزمون بفتاويهم..").
- وهاتان الشهادتان تثبتان أن التكفير قادم إلى السعودية من خارجها .. وأن التجنيد والاستقطاب أتى لاحقًا عبر آلياته المعروفة.. فلنكف عن اتهام علمائنا ومنهجنا بالتكفير .. والمصيبة أننا نردد مقولات أعدى أعدائنا بدعوى الجرأة والصراحة..
- مفهوم القطيعة مع الجانب العقائدي في " الوهابية"، الذي طُرح تطبيقًا للفلسفة أو مفهوم التاريخانية، الذي يعدّ أي خطاب أو أي حركة وليدة شبكة من العلاقات المعبرة عن السلطة والقوة في تلك اللحظة التاريخية؛ مما يسوّغ تجاوزها وحتمية القطيعة المعرفية معها في أي لحظة تاريخية تالية ..وهذا المفهوم المادي (الفاشل) حاول تطبيقه غلاة العلمانيين العرب على الرسالة الإسلامية نفسها، وعلى القرآن الكريم نفسه، ومن أشهرهم محمد أركون، الذي كتب كتبًا كثيرة كلها تصبّ في هذا الباب، ومنها دراسة له حول سورة الفاتحة وسورة الكهف، وأنها تدلّ بصورة واضحة على تاريخية القرآن، وأنه نص أنتجته الظروف في حينه، ولا يصلح استصحابه لمعالجة ظروف لاحقة وتالية، والهدف واضح وهو تجاوز دعوة الإسلام نفسها، والترويج لمبدأ العلمانية السائد في الغرب؛ بوصفه أنموذجًا مثاليًّا.

وأنا أسأل عن العقيدة التي يطالب بعضهم بالتخلي عنها، خصوصًا إذا عرفنا أن الدعوة الإصلاحية تنادى بما نادى به القرآن والسنة الصحيحة، وأن ما يخالفهما فهي منه براء؛ حتى لو صدر من أكبر عالم فيها، كما هو واضح وصريح في النص الذي ذكره الدكتور العوين .. ما هي؟

المشاركون

- د. إبراهيم البعيز.
- عقيد ركن. إبراهيم آل مرعي.
- أ. إدريس الدريس.
- أ. أسامة كردي.
- السفير أ. أسامة نقلي.
- د. الجازي الشبيكي.
- د. حاتم المرزوقي.
- د. حامد الشراري.
- م. حسام بحيري.
- د. حسين الحكمي.
- د. حمد التويجري.
- د. حمزة بيت المال.
- د. حميد المزروع.
- د. خالد الرديعان
- م. خالد العثمان.
- أ. خالد الحارثي.
- أ. خالد الوابل.
- د. خالد بن دهيش.
- د. زياد الدريس.
- م. سالم المري.
- د. سامية العمودي.
- اللواء د. سعد الشهراني.
- أ. سعيد الزهراني.
- أ. سمير خميس.
- أ.د صالح المانع.
- أ.د صدقة فاضل.
- د. طلحة فدعق.
- د. عائشة حجازي.
- أ.د. عبدالرحمن العناد.
- د. عبدالرحمن الهدلق.
- د. عبدالسلام الوايل.
- أ. عبدالله آل حامد.
- د. عبداللطيف العوين.
- د. عبدالله بن ناصر الحمود.
- د. عبد الله بن صالح الحمود.
- أ. عبدالله الضويحي.
- أ. عبدالله بن كدسه.
- أ. عدنان المرشد.
- أ. علي بن علي.
- اللواء. علي الحارثي.
- د. علي الحكمي
- أ. علي بن علي.
- أ. علياء البازعي.
- أ. فاطمة الشريف.
- د. فايز الشهري.
- أ. فايزة الحربي.
- د. فهد الحارثي.
- أ. فوزية الجار الله.
- د. فوزية أبوخالد.
- أ. كوثر الأربش.
- أ. ليلى الشهراني.
- د. محمد القويز.
- د. محمد سالم الصبان.
- د. مساعد المحيا.
- د. مسفر السلولي.
- أ. مسفر الموسى.
- أ. مطشر المرشد.
- أ. مها عقيل.
- د. منصور المطيري.
- د. ناصر البريك.
- د. ناصر القعود.
- أ. ندى القنيبط .
- د.م. نصر الصحاف.
- أ. هيا السهلي.
- أ. هادي العلياني
- أ. وليد الحارثي.
- أ. يحيي الأمير.
- د. يحيى الحارثي.
- أ. يوسف الكويليت.

*ترتيب الأسماء حسب الحروف الأبجدية



ملتـقى أسبـار

Asbar Council

(نادي تفكير)

تأسس الملتقى في 28 يونيو 2015م

@MultaqaAsbar

@Multaqa_Asbar

https://cutt.us/U0nnC

00966114624229

www.asbar.com